



المقتطف

Orient Seminar
UNIVERSITÄT
78 Freiburg / Br.
inv.

Az 14/8

رئيس التحرير : اسير وجري

June 1952

الجزء ١ - المجلد ١٢١

يونيو ١٩٥٢

حديث المقتطف

إن المقتطف، وهو يتابع خطواته الرائدة في خدمة العلم والثقافة في مصر والأقطار العربية كافة ليسرّه أن يقدم لقرائه الكرام عدده الثاني الممتاز، شاملاً طاقة شديدة من الأحاديث والتشليلات التي تفضل بها عليه علم من أعلام العربية المعاصرين هو «الدكتور أحمد زكي أبو شادي» الذي خدم العلم والثقافة، وقاد حركة التجديد الشعرية في مصر أكثر من ربع قرن.

وهذا السفر القيم «من نافذة التاريخ» هو نافذة نطل منها على بعض أحداث التاريخ الإسلامية وعلى سمات بعض أعلام العرب الأفاضل، كما نطل منها على ناحية من ثقافة المؤلف الواسعة، وموهبته الفنية النافذة، وأهدافه البعيدة الموجهة.

فقد ضم ثلاث مقالات ذكية قصيرة تحدث في الأولى عن مؤرخي العرب الاعلام ونادى بدراسة مؤلفاتهم وتعاليمهم النزاهة الحرة. وفي الثانية عن العدالة الإسلامية وفي الثالثة عن الحرية النسائية الأمريكية وكيف لاقت أول مدافعة أمريكية عن حقوق المرأة ألواناً من الاضطهاد. كما ضم ثماني تشليلات إذاعية، سمّت منها تتصل بأحداث التاريخ الإسلامي، حيث يكمن وراءها ملامح بعض اعلام العرب الأفاضل ومغامرات أبطاله الخالدون وذلك بأسلوبه الفني المركز. واثنان رائعتان في تاريخ الفكر العربي هما: «الطائر الطليق» و«حارس البستان»

تتناول أولها شخصية ابن سينا، وزبدة فلسفته . وثانيتهما تتحدث حديثاً فنياً لأول مرة عن حياة الفارابي وشخصيته وآرائه الفلسفية .

تروي التمثيلية الأولى مأساة الوزير العظيم أبي مسلم الخراساني وكيف غدر به الخليفة أبو جعفر المنصور وقتله . . . وتقص الثانية قصة الجارية صباح المغنية مع مواليها ووفائها للبرامكة وبكائها وترجمها على أيامهم المجيدة . أما قصة « سلام الترجمان » فهي قطعة من صميم الحياة العربية .

وميزة هذه التمثيليات أنها تناولت موضوعات جديدة لم يطرقها مؤلف قبله : كقصة « أكبر خان » الملك الهندي المسلم ، وامتناع الهندوسية « انديرا » عن قتله بعد أن تأيد لها إنصافه وعدله ، وكقصة « أبي دلف الخزرجي » ورحلته الى بلاد الصين مع تابعه « عبد الباسط » ووصفه لما رآه هناك . . .

كما تمتاز بالاخلاص للحقيقة التاريخية والتجاوب مع العصر والشخص والبيئة تجاوباً قوياً ، فضلاً عن عنصر الفكاهة الذي يتخلل القصص ، والأهداف الانسانية التي قصد إليها المؤلف ، وما يمثّل منها من عبر بليغة حية . . . وهذه القصص مع قصرها قد اكتملت موضوعاً وفناً ، فقد تمكن المؤلف من رسم صورها بريشة مصوّر ماهر يكتفي بإبراز المشهد بقليل من الخطوط والاضواء ولا نستطيع في هذا الحديث أن نحلل هذه المجموعة تحليلاً فنياً ولكننا ندع القارئ يستمتع بما وعته من حقيقة أبرزها الخيال ، وجد مازجته الدعابة ، وبخاصة أن بعض القصص مثل قصة « سلام الترجمان » تتحدى التحليل ، وتضيق طلاوتها اذا حاولنا التعليق عليها .

ولا يسع المقتطف إلا أن يشكر للدكتور أبي شادي هذه النفحات الأدبية

تقدير

يشمل الجزء الأول من هذا الكتاب ثلاثة أحاديث وثماني درامات ألفتها للإذاعة على العالم العربي من محطة (صوت أمريكا) في نيويورك، في حدود القيود الزمنية والتمثيلية التي تفرضها مثل هذه الإذاعة، وقد تيسرت فعلاً إذاعة معظمها فنالت تقديراً عاماً في الأقطار العربية شجع على طبعتها.

وسواء أكانت نثراً أم نظماً، موجزة أم مسهبة نسبياً، فإن عنايتي الأولى كانت موجهة، بجانب خدمة الأدب والفن، إلى التعبير عن الخواطر الإنسانية أو المثل الإصلاحية التي افترنت بجهودي الماضية والحاضرة لخدمة وطني الأول العزيز، ووطن اقامتي الذي رحب بي وأكرمني، ولخدمة الأمم الناطقة بالضاد التي يجمعها أخوة اللغة والثقافة الوثيقة العرى.

وليس لي من وراء نشرها الآن - بفضل عناية اللجنة الأدبية التي تألفت في مصر لنشر آثارني، ولا للجنة ذاتها - أية غاية مادية.

وإذ كان هذا أول آثارني الجديدة التي تظهر في مصر، فإنه ليطيب لي أن أؤدي الواجب عليّ بشكر صديقي الأستاذ الأديب «عيسى خليل صباغ» رئيس القسم العربي في محطة (صوت أمريكا) الذي لولا حمايته لأنتاجي المتواصل، ولولا

اهتمامه الصادق به، لما تيسرت موضوعات هذا الكتاب وما سيقبله من كتب متعددة في الأدب والفن واللغة والنقد والبحوث الإنسانية وسواها. ثم بشكر لجنة النشر الغيورة التي يرأسها صديقي الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية، وجميع أعضائها من أدباء مهرة اللامعين، وقد صدق عليهم جميعاً تعريف أبي تمام للأخوة الفكرية الأدبية التي تخرج كل الامتزاج بالعاطفة النبيلة.

وقد كان للأستاذ صباغ فضل آخر في إبراز التمثيليات التي تضمنها هذا الكتاب وكتابي (من ملعب الحياة) الذي سيقبله، وكذلك الفريديات والننائيات الشعرية التمثيلية على صورة شائقة، بفضل عبقرية التمثيلية المقدرة في العالم العربي، والتي تساندها شاعريته وروحه الأدبية وثقافته الواسعة ثم قلبه الكبير.

ولا يسعني أخيراً إلا أن أعترف بديني الأدبي لجميع المؤرخين من قدامى ومحدثين، ولدائرة المعارف الإسلامية ولأخواتها من المراجع الهامة، منذ كنت حريصاً على احترام التاريخ في تأليني، وإن أطلقت لقلمي العنان في التناول الأدبي الفني لموضوعاتي...

أحمد زكي أبو شادي

نيويورك في أول مايو سنة ١٩٥٢

من نافذة التاريخ

مهر

صدرت حديثاً عن لندن حلقة جديدة من السلسلة المعروفة « بحكمة الشرق » Wisdom of the East Series تناولت الزبدة الخالصة أو لباب اللباب من فلسفة مؤرخ العرب الأشهر العلامة عبد الرحمن بن خلدون كما رسمها في مقدمة تاريخه العظيم ، وإن لم يعش ليتمه وليشذبه كما كان يهوي ، أو ليطبّق في تصايفه المهادى التي أخطأها في مقدمته ، نجاءت نسخته الأصلية من التواريخ وفيها صفحات بيضاء عديدة ، ولعله ترك لفرائه أيضاً ذلك التطبيق بعد أن أوضح لهم مذهبه في الأسباب والنتائج وفي مقاييس الحوادث . ولكنه بعمله الخالد كان سابقاً لزمته ، وكان أول مؤلف عرفناه في فلسفة الاجتماع والتاريخ ، وكان إماماً هادياً نزيهاً عظيماً لن يستغنى العرب عن النزود من تعالجه والانتفاع بها ما داموا يتطلعون الى مجد جديد

ذكرني ظهور هذه الحلقة من السلسلة بواجب أدبي عليّ في تعاوني مع (صوت أمريكا) ، فليس ما أنوي اذاعته من خطرات عن روائع الأدب العربي أو الأدب الأمريكي ، ومن قبسات من سماء الفن ، ومن ذكريات الأعلام ، ومن صور مقتطفة من مرآي الحياة ، ونحو ذلك من موضوعات جليلة ، - ليس شيء من هذا ولا كل هذا بالذي يمغيني من التطلع من شرفة التاريخ أو من نافذته الى حوادثه وعبرها مشركاً معي المستمعات والمستمعين فيما يجب أن لا يفوتنا علمه .

والعناية بالتاريخ من تقاليد الثقافة العربية منذ قرون حتى بلغ عدد المؤرخين العرب زهاء ستمائة . ورّخ في القرون العشرة الأولى من الهجرة ، كما تعددت مناهجهم في تناول موضوعات التاريخ . وبينهم أعلام من أهل التحقيق والفكر السليم نعتز جميعاً بسيرتهم ، كما يذكرهم بالتبجيل أحرار الفكر المعلنون والمتأملون في الأقطار المختلفة .

وحسبي في هذا الحديث الأول ، بعد الاشارة بأهمية التاريخ في اليقظة الانسانية ، وبقيمته كإداة أدبية لا تفنى ، أن أنوّه بالشخصيات العالمية بين مؤرخينا القدامى وبآثارهم البارزة النفع للعرب .

ففي طليعة هذه الشخصيات الجبهة الباقية الذكر محمد بن جرير الطبري أول من وضع تاريخاً كاملاً في اللغة العربية ، وإن أتبع طريقة العرب القديمة — طريقة التوقيت أي التاريخ ، ذا كراً حوادث كل سنة مستقلة ، خلافاً لطريقة الاغريق الذين كانوا يمدون التاريخ توأماً للقصاص . عاش الطبري بين السنة الثمانمائة والثامنة والثلاثين والسنة التسعمائة والثالثة والعشرين وعلى هذا قد شمع نوره أكثر من ألف سنة . فقد كان مفكراً حراً نزيهاً جباراً الذهن ، وكان موسوعة معارف متعددة ، كما كان آية في صدق القول الصريح ، وبلغ من تفكيره الصريح أن أنشأ مذهباً دينياً خاصاً به أكثر تقدماً من المذاهب المعروفة في زمنه ، فتمرض في بغداد لثورة الحنابلة عليه . ويعد تاريخه العظيم أهم مصدر للتاريخ الاسلامي من الهجرة حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مع احتوائه أيضاً على معلومات قيّمة عن العصر الجاهلي . وقد عني بتدوينه مؤرخون قالون من أهل المسكنة حتى أبلغوه نهاية القرن الخامس الهجري تقريباً ، كما عني باقتضاره غير كاتب وكاد يضيع الأصل وسط هذه المختصرات ، لولا عناية المستشرقين بجمع أحزائه المصورة من عواصم شتى وطبعها في مدينة لندن في مستهل هذا القرن . وأقل ما يجب عمله إزاء هذا الامام الجليل الذي يعد أباً للتاريخ الاسلامي ، أن تصدر طبعة أخرى محدثة من تأليفه (أخبار الرسل والملوك) وفقاً للموضوعات لا تبعاً للجري السمين ، مع شروح وتحقيقات في صورة هوامش تقوم بها لجنة للنشر تختار من الاعلام المؤرخين الباحثين . وإن ما يعنيننا في ذكرى هذا الامام العلامة ، إلى جانب التنبيه إلى الانتفاع العام بدراسة تاريخه العظيم ، والتنويه بمعارفه الواسعة ، أن نمجد خلقه العالي ونفسيته السامية التي لم يعبأها الفقر ولا الغنى ، فضرب المثل لكل من يود أن يتصدّر للخدمة العامة من حب التواضع وإبناار مصلحة الناس وإرضاء ضميره أولاً وأخيراً وفاهيمكم رجل يتقف أولاد الأعيان كبن عبيد الله بن يحيى وزير المتوكل ثم لا يرتضي إلا أن يمش عيشة متواضعة ولا يؤمن إلا بآرستقراطية الفكر والعلم . وهو هو بعينه الرجل الذي تبدلت ظروفه وما تبدلت عزة نفسه حتى عندما اضطرته الفاقة إلى بيع كمي قيصه ليشتري الخبز !

وكان في مقدمة المؤرخين الذين استفادوا كثيراً من الطبري وبنوا على أساسه ، المؤرخ اللامع ابن مسكويه وزير مالية عضد الدولة البويهى ، فقد ألف تاريخه القيم (تجارب الأمم) بادئاً بالخليقة ومنتهياً بسنة ٣٦٩ هجرية ، وقد عني المستشرقون بطبعه في لندن واحتفلوا به إبان غفلتنا . ويمتاز تاريخه بتناول الشؤون الاقتصادية والاجتماعية

وبنظرانه الشخصية في أحداث الأمم ونقداته إياها ، ولكنه سار على نهج الطبري في التأريخ للسنين . والاطلاع على تاريخه كالاطلاع على تاريخ الطبري رياضة أدبية لغوية ، وتمرس بأساليب بيانية قويمة ، الى جانب ما يحتويه من فوائد وعبر من سير الرجال والامم . وابن مسكويه رجل عظيم النفس ، فقد كان من وزراء الدولة البويهية ، وعلى الرغم من ذلك لم يبيع ذمته لها ، بل وزن أعمالها بميزان الحق وحده فقال ما لها وما عليها — شأنه في جميع أحكامه . وهذه شخصية أخرى رائدة بحق للعرب الاعتراف بها واستلهاهم عظمتها .

وشخصية ثالثة عظيمة أعقت ابن مسكويه ، ولكن بعد ثلاثة قرون ، هي شخصية الملامه الجليل ابن خلدون الذي افتتحت هذا الحديث التمهيدي بالإشارة إليه . فقد ظهر ابن خلدون في القرن الثامن الهجري بلون جديد للتأريخ ولدرسه وفهمه لم يكن معهوداً من قبل ، تسانده في ذلك تجاربه الفذة في المغرب والمشرق واتصالاته العديدة بالسلطين أو الأمراء والحكام ومفاوضاته السياسية التي شملت حتى تيمورلنك ، إلى جانب اطلاعه الواسع وعبقريته الأصلية . نزاهته المطلقة وقد جاء وما يزال تحفة رائمة بتاريخه المسمى (كتاب العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، في أيام العرب والمعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) فقد وضع به فعلاً أصول علم التاريخ ، وروى في نزاهة مطلقة ما روى من الحوادث حسب الموضوعات بدل السنين ، وجاءت مقدمة تاريخه سجلاً نفيساً لفلسفة الاجتماع ومقاييس الحوادث وتطورها وتاريخه لا يعتمد إلى ما بعد القرن الثامن الهجري فقد توفي سنة ٨٠٨ هـ .

وشخصية رابعة من هذا الطراز الجليل النادر ، والذي بدونه لا تقوم للامم قائمة ، هي شخصية المقرئ صاحب الخطط الشهيرة عن مصر الاسلامية ، فهو تلميذ ابن خلدون ومقتفي أثره وخير الترجمة على هؤلاء الاعلام هو دراسة مؤلفاتهم والاقتباس منها والاشادة بتعاليمهم النزيهة الحرة .

العدالة الإسلامية

أذاع الراديو مساء التاسع والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٥٠ أن محسناً أخفى اسمه تبرع لجامعة ييل Yale بمليون دولار للدراسات الانسانية . فبهزفتي هذه الأريحية بروحها ومظهرها ، وبانسجامها مع طبيعة هذه الأمة المحسنة ، ونهتني إلى أن كثيراً من علل الطوائف والشعوب ، ومن شقاء البشرية ، مرده إلى الجهل بالحقائق الانسانية ، وإلى وضع أمورها في أيدي الحاكمين بأمرهم . لا في أيدي أهل الاختصاص من علماء وفنيين ، وإلى تفشي الأنانية بين الأفراد تشبهاً بحكامهم الغاشمين .

كذلك ذكرني هذه الهبة السمجة بقصة تاريخية رواها E. F. Knight ف نايت (Where Three Empires Meet — في كتابه الموسوم) حينما تلتقي ثلاث امبراطوريات المطبوع سنة ألف وتسعم مئة وواحدة (١٩٠١) . قال : —

(في منطقة كاركورم — Karakorum — النائية الجبلية بكافج عامة الأهالي جواً بارداً عنيفاً . واتفق أن زار الحاكم المسمى راجارام سنج Raja Ram Singh شطراً كئيباً من هذا القطر ، فقابله جمهور مرتحف رث يحمل مصابيح مضاءة في وضوح النهار ! فلما سأل عن معنى ذلك أجابه كليهم :

« أبها المهرجا ! إن أرضنا اشتدت ظلمتها بحيث أحضرنا مصابيح لتمكن عظمته من رؤية بؤسنا ! واننا لنبتل إليك لتمجيدنا » — . ومرت بخاطري « عمرية » حافظ ابراهيم ووصفه المبدع للخليفة العادل وهو نائم دون حراسة كأصغر رعاياه شأنًا . ثم مرت بخاطري المحاولات التي قامت شرقاً وغرباً في الديار الاسلامية فيما بعد لتحقيق العدالة الاجتماعية بالنظام الاشتراكي المعتدل . ولو كانت نجحت إحداها لكانت خلفت من الآثار في تطور المجتمع العربي الاسلامي اقتصادياً وثقافياً مثلما خلفت الحركة الوهابية من الآثار الطيبة في محاربة البدع والمخرافات .

ونظرت من نافذة التاريخ فرأيت « الجمهورية الميخونية » في البحرين وما سادها من

العدالة الاجتماعية المطلقة ومن روح التقدم المعجيب ، حتى صارت البحرين في حالة تغبط عليها من الفلاح والازدهار ، ومن الاستقرار الداخلي . وقد زار هذه الجمهورية المثالية من المؤرخين الرحالين أمثال ابن حوقل والمقدسي وناصر خسرو ، فلم يجدوا في أهلها منقصة واحدة .

ورأيت الرحالة ناصر خسرو يحاضر — بعد زيارته هذه الجمهورية الإسلامية المعجبية حول منتصف القرن الحادي عشر — فيتحدث عن تقسيم تلك الحكومة للأراضي بين المحتاجين ، وعن إلغائها معظم الضرائب ! ومن بين ما بلغ سمعي قوله :

«عندما زرت الأحساء رأيت ثلاثين ألفاً من السودان يشتغلون في الحقول والبساتين على حساب مجلس الحكومة ، وهي حقول مشتركة بحال الحكومة . ولم يكن يدفع المزارعون لها شيئاً من الضرائب . ومن عجز منهم أو أصابه دين فافتقر ، كانت تساعده الحكومة وتسلفه ما يحتاجه من المال حتى يعود إلى حاله ، ومن استدان لا يدفع فائدة عن دينه . وإذا دخل غريب الأحساء وكان من أصحاب الصناعات أو له معرفة بشيء منها استأجرته الحكومة واشترت له أدوات حرفته ، حتى يحسن حاله فيرد المال كاملاً إلى الصندوق العام دون فائدة أو ربا »

وعلاوة على ذلك تساعد الحكومة المعوزين والمنكوبين وتحارب الفقر كما تحارب الجهل والمرض ، وتؤدي وظيفة جمعية كبرى تعاونية مركزية ، فتقوم مثلاً بطحن الحبوب مجاناً على حساب صندوق الجمهورية العام . وهكذا لم يكن في الأحساء ولا فقير واحد والتجارة عامة بيد الحكومة ولا سيما الخارجية منها ، والأرباح الناجمة عنها تنفقها الحكومة على المرافق العامة . وهكذا للعيش في هذه الجمهورية هادئ مطمئن ، والناس ينعمون بالأخاء والمساواة والعدالة والحبوحة ، وهم في أمن كامل من الخوف إذ لا ينقص عيشهم ظلم أو ضريبة ، وحريةهم الفكرية والدينية مصونة . وهم مسلمون ، تقدميون في مذهبهم ، إذ أنهم لا يؤمنون إلا بالقرآن الكريم ويشككون في صحة معظم الأحاديث ، وينفرون من البدع والخرافات ومن سيطرة الاقطاعيين ومن نظام الطبقات والامتيازات الذي يخالف روح الاسلام الحريصة على الأخاء والمساواة . ولو ترك الميمونيون وشأنهم فلا ريب أنهم بالغون منزلة رفيعة ديناً ودنياً . ولكن أخشى ما أخشاه أنهم سيتعرضون للاختلاف عليهم والتشويه نهضتهم نظراً لخطرها على أصحاب الحكم المطلق

وعلى الجامدين المستغلين الدين لأطماعهم الدنيوية . كذلك أخشى أن تدفع الحماسة بهؤلاء الجمهوريين إلى الغزوات ثم إلى الحروب الخارجية نشراً لمبادئهم الإصلاحية ، بدل الاعتماد على الكتب والنشرات وحدها ، وبذلك قد يجازفون بالنظام الرائع الذي أسسوه تطبيقاً للعبادى الإسلامية الرفيعة التي انحرف عنها حكماء المسلمين طمعاً في الدنيا ، فخرؤوا بذلك الولايات على أممهم .

ولم يعض وقت طويل حتى رأيت مخاوف فاصر خسرو تتحقق ، ففسر العرب والمسلمون أعظم جمهورية مثالية نبتت في جزيرة العرب وضاعت معها جميع المؤلفات والوثائق والدراسات والخطب والرسائل والمضابط المعبرة عن مبادئها وعن آراء زعمائها ومفكرها وهيئاتها ، وتركنا نلتصم الحقيقة بصعوبة وسط طوفان من الأكاذيب التي اختلقها خصومها عليها وتناقلها الكتاب المحرومون البحث والاستقلال .

يؤمن عامة الصيغيين باتصال حياتهم بحياة أجدادهم الأقدمين ، ولو مرت على وفاتهم مئات السنين ، فيوقرونهم ويستلهمونهم ويضعون على قبورهم في احتفال الربيع قصاصات صغيرة من الورق الأصفر ذكرى واجلالاً لهم ، كما قد يقيمون هياكل بديعة لذكراهم . أما تقاليد المسلمين بل العرب عامة والأمم الناطقة بالضاد التي تأثرت بمحضارتهم وحكمتهم فتدعو الى المحاكاة الفكرية والروحية والى اجلال الأجداد المحسنين وتراثهم عن طريق الدراسة البقطة والانتفاع بهباتهم التي خلفوها لنا وللإنسانية عامة ، ولو طمستها الأهواء والتعزبات السياسية أجيالاً طويلة .

الحركة النسائية الأمريكية

في ١٧ نوفمبر سنة ١٦٣٧ أي منذ أكثر من ثلاثة قرون وقفت أول مدافعة عن حقوق المرأة في التاريخ الحديث أمام قضاتها في بوسطن .

تلك كانت Mrs. Anne Hutchinson كريمة أحد رجال الدين ، ومن نابغات النساء المفكرات في عصرها . وقد رأت صيحتها بالدفاع عن شخصية المرأة وإنسانيتها وعن حقها في التفكير المستقل ، وتردد صداها في أقطار شتى جيلاً بعد جيل ، فهي من ألهمت حركة تحرير المرأة وحينما يذكر مثلاً كفاح المرأة المتزوجة في إنجلترا منذ منتصف القرن التاسع عشر للحصول على حقها في الملكية ، وفي التصرف المستقل عن زوجها في شؤونها المالية ، ثم كفاحها بزعامة Mrs. Pankhurst في مستهل القرن الحالي لاستخلاص حقوقها السياسية ، وحينما يذكر فوز نساء زيلاندا الجديدة ببعض هذه الحقوق في سنة ١٨٩٣ ، وصيحة قاسم أمين في مصر لتحرير المرأة منذ سنة ١٨٩٩ ، والتطورات التقدمية للحركة النسائية إلى أن فازت نساء أمريكا منذ ثلاثين عاماً بمقوقهن السياسية الكاملة وصارت منهن الوزيرات والمندوبات إلى الأمم المتحدة ، وكاد الحزب الديمقراطي يرشح Mrs. Elenor Roosevelt لنيابة رئاسة الجمهورية ، وصارت النساء الأمريكيات قوة عظيمة فعالة غالبة في اقتصاديات الأمة وفي التوجيه الاصلاحى الاجتماعى ، ونألفت الأحزاب النسائية النشيطة في الأقطار التي يتطلع نساؤها إلى المساواة بين الجنسين كحزب (بنت النيل) في مصر الذي ترأسه بمجدارة الدكتورة درية شفيق -- حينما يذكر كل هذا والنهضات النسائية العظيمة التي تسلسلت في أنحاء العالم ، يقضى الوفاء باكرام ذكرى آن هتشنسون Anne Hutchinson الرائدة الاولى للحركة النسائية .

وإذ نطل من نافذة التاريخ نجد حاكم بوسطن Sir Henry Vane جالسا إلى مكتبه وهو يحاور وفداً من رجال الكنيسة وأعيان المدينة وقد جاء الوفد يلحظ في المطالبة بإزالة أهدء العقوبات بأن هتشنسون بل بالنفكل بها ، ونسمع المجادلة الآتية بينه وبين رجل الدين الاول الناطق بلسان الوفد ، وقد لمع في عيني الحاكم بريق الحزم والسخط .

— « ليس في وسمي أيها السادة أن أكون ضالماً على هذه المرأة الصالحة » . — « وأي صلاح هذا الذي يقترب بدعوى أنها أهل لارشاد الكنيسة ، وأن رأسها يساوي رؤوسنا تماماً ، وأن رجال الدين ليسوا وحدهم القادرين على تفسير (الانجيل) المقدس ، وأنه لا حق لرجال الدين في المساعدة على تحقيق الحكم الصالح ، وأن عقل المرأة المخلوقة من ضلع للرجل مساو لعقله ؟ » .

إن هذا هو عين الكفر بارادة الخساق الذي ميز بين الجنسين ، وجعل الرجال قوامين على النساء .

— « لا تنسوا أيها السادة أن أجدادكم لم يأتوا إلى هذه البلاد إلا هروباً من الاضطهاد الفكري ونشداناً لحرية العقيدة . وأنا لا أرى ما ترون في شأن هذه السيدة التقية ، ولا يمكن أن ينالها مني أو بواسطي أي أذى » .

— « ما هذا الكلام يا سعادة الحاكم ؟ إن هذه المجنونة الدعية تثير النساء ضد الكنيسة ، بل تثيرهم ضد الرجال عامة ، وقد تمادت في تبجحها ، فصارت وما زالت تعقد اجتماعات أسبوعية من النساء لمجرد التشهير بنا ، والثورة علينا . وما دمت لا تريد التدخل في أمر هذه الثائرة فسنستعمل حقنا الذي خصصنا به الاله العلي ، وسنبت في شأنها عاجلاً » .

ثم ودّعوا الحاكم في شبه غطرسة ، والشرر يكاد يقدح من عينيه . وما كان يوسعه أن ينقذها من مخالبهم وهو يعلم أن مستعمرة خليج ماساشوساتس كانت بنظام حكمها شبه ثيوقراطية تسيطر فيها الكنيسة تمام السيطرة على الرجال فضلاً عن النساء .

ثم نظرت مرة أخرى من نافذة التاريخ وكررت النظر ، فشهدت محادثة Anne Hutchins على أيدي تلك الطغمة ، وقد وقفت هذه السيدة النابهة في شجاعة تجاهه قضائاً الأربعة الذين جلسوا إلى منضدة فاصلة بينها وبينهم . ولحمت زمرة من الرجال جالسين على جانبي القاعة ، كما لحمت عدداً من الحراس ، وممعت بين ما ممعت هذا الحوار بين رئيس القضاة « والمتهمة » : —

— « إنك مذبذبة بآمرك على الكنيسة إذ تمقدين اجتماعات من النساء الغيبيات ، ويمكن انتقاد مواعظ الأحد وتعاليم الكنيسة ، وتشجيب طاقة الرجال ، ولذلك قرر

نظار الولاية محاكمته بواسطة هذه المحكمة العامة .

— لا ذنب عليّ في شيء . بل الواجب عليكم أن تشكروني بدل مؤاخذي .
فقد نهتكم بسلوكي الى أنكم لا توقرون أمهاتكم وزوجاتكم التوفير الواجب ، والى
جهلكم تربية بناتكم ، فينشأن خائعات راضيات عن سلب حقوقهن الطبيعية . وإن حرمانكم
المرأة التفكير في شؤون الكنيسة والمصاحمة فيها ، بل حرمانها الاهتمام حتى بشؤونها
الخاصة لظلم وخيم العقاب . وتعلموا أيها السادة أن عقل المرأة ليس دون عقل الرجل
بل ربما كان أفضل منه ، وأن حقها ليس دون حقه ، وأن ما تشددون به من تحليل
وتحريم في مواعظ الأحد ليس من المسيحية في شيء

ولم تطل هذه المحاكمة الصورية غير يومين ، وانتهت بم صدور الحكم بنفيها . . .
فانتقلت مع شيعتها الى (رود آيلاند) حيث جعلت الشعار السائد حرية الفكر ، وأنه
لا تجوز معاقبة أحد على رأيه المستقل وعقيدته .

ولما توفي زوجها انتقلت الى ولاية نيويورك حيث أسر الهنود الحمر جميع أسرته
البالغ عددها خمسة عشر شخصاً ، وذبحوهم جميعاً هذا طفلة سوزانا Susana سنة ١٦٤٣ .
وكاد أنصار هذه الرائدة الحرة الفكر يمدونها كالقديسة ، ويعتبرون دمها الزكي
قرباناً للحرية ، وعلى الأخص لحرية المرأة .

مقتل أبي مسلم الخراساني

درامة في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

أشخاص الرواية

فيذك

أبو مسلم الخراساني

عيسى بن ميمون

سماد، جاريته

أبو جعفر المنصور

مالك بن الهيثم

يمثل المنظر الاول ، حجرة الاستقبال في دار أبي مسلم الخراساني بخلوان ، وقد تصدر القاعة في حالة نفسية مضطربة من جراء الحياح الخليفة عليه بالفوج الى المدائن ، والمثول بين يديه ، وقد كان يخشى خدر الخليفة أبي جعفر المنصور ، لما بينهما من تنافس وضغينة ، وإذ كان أبو مسلم على هذه الحالة دخلت عليه جاريته الامينة سماد متلهفة دون استئذان .

سماد — عفواً يا مولاي ، إذا تطلعت هكذا بالدخول عليك في غير استئذان ، ولكن هو ولائي لذاتك الكريمة ، ولبيتك ، يفرض علي أن أطلعك دون إبطاء ، قبل أن تبت نهائياً في أمر رحلتك الى المدائن ، بما يهمس به الناس بل خاصتهم

أبو مسلم — لا جناح عليك يا سماد ، أراك مذهورة ... فإذا يقول أولئك الناس ؟ اجلسي وكوني مطمئنة ...

سماد — يقولون يا مولاي ما قاله المنجسم ... ويرددونه ... ويؤكدونه ... ويزيدون عليه شرحاً وتأويلاً ...

أبو مسلم — (متوجساً) هدي روعك يا سماد . ماذا قال المنجسم ، وماذا يقول الناس ؟
سماد — قال المنجم ، إنه رأى أسداً له مثل رأسك اصطفاه ثعلب خبيث ، له رأس كراس المنصور ، وادعى هذا الثعلب أن له دالة على الأسد لأن والد الثعلب كان صديقاً حميماً للأسد ، فتفاهم الأسد والوالد على أن يقوم الأسد بالغزوات والفتوحات ، فتكون في يده القوة الحربية ، في حين يحتفظ الثعلب الكبير بالادارة ومظاهر الملك ، فتكون

في يده القوة السياسية ، وعلى أساس هذا التفاهم قضى الأسد على المنافسين ، وبني ملكاً جديداً نعم به الثعلب الكبير أكثر مما نعم به الأسد . ثم مات الثعلب الكبير وحل محله ابنه الأكبر ، ولكن الابن الأصغر — وهو الثعلب الصغير — كان يحقد على الأسد ، وينفس عليه شهرته وحسن مكانته ، وكان يغري اخاه بالكيد للأسد ، وبالتآمر على قتله ، فكان أخوه يجزع لمحض الفكرة ويمزف عنها عزوفاً ، وأخيراً توفي الأخ الأكبر وآله الأمر إلى الثعلب الصغير ، وكان منذ سنين قد أصدر حكماً بينه وبين نفسه بقتل الأسد على الرغم من علمه بأنه البطل المخوار والقائد الهنك الذي لا يموت من للدولة ، ولكن هكذا قضت أنانيته الحاسية . . .

أبو مسلم — (مقاطاً ، وهو يتالك روحه) مهلاً يا سعاد ، اني لا أرى وجهاً للشبابة والمقارنة . اني رجل عمل وكفاح ، ولا أثق بالأحلام والمنجمين ، وقد أعتد بنفسي ولكنه اعتداد من يصوف كرامته لا اعتداد الفطرسية ، ولولا ذلك لما تمكنت من ضرب ملك بني مروان واقامة ملك بني العباس مكانه وأنا في شرخ الشباب ، ولماذا يحقد أبو جعفر على وقد أمنت له الاقطار وأخذت الفتن ، ومن بينها ما قام بها مع عبد الله ، ولم أبن مجدداً لنفسي على حساب الدولة ولا على حساب هو ، بل الدولة هي التي بنت مجدداً على حسابي . سعاد — عفواً يا مولاي . . . اني أروي لك حديث المنجم على علاته ورأي الخاصة فيه وهمس الناس عنه ، لقد رأى المنجم ذلك الثعلب النحيل يكيد للأسد ويستفزه للغضب والسخط والثورة حتى إذا ما غدر به وقتله فيما بعد لا يقول أحد انه اغتاله ، وانما يقال إنه هوقب لنكته بالمهد وان يكن أسداً . وقد رأى المنجم صديقين للأسد يغبه وجههما وجهي صديقك مالك بن الهيثم وفيزك ، وهما يشيران عليه بنقص علاقته بالثعلب وبالرجوع الى عربنه في خراسان والاستقلال به ، وبأن لا يصيخ الى الترغيب ولا الى التهيب ولو جاءا من عملائه أو أصحابه ، فالسلامة كل السلامة في البعد عن الثعلب الداهية الحبيث ، ولكن الأسد لم يسمع الى النصيح المتكرر ولا إلى الانذار المتتابع ، وتوجه الى الثعلب كأنما القدر الجبار يسوقه إليه سوقاً ، فاستقبله الثعلب كما استقبل قواده أحسن استقبال وفي اليوم التالي أعد أربعة من الضباع من بين حراسه الأشداء فهجموا على الأسد وهو في مجلس الثعلب على غرة منه وفتكوا به ، ثم رمى بأضلائه في هجرة (يسمع وقع أقدام مقربة)

أبو مسلم — (متلماً) كى . كى . انصرفي يا سعاد . فاني أسمع وقع أقدام وهما هما مالك

ابن الهيثم ، ونبزك قادماني . (تنصرف سداد ، ويدخل صديقه ، مالك بن الهيثم ونبزك)

أبو مسلم - (متالكاروعه) مرحباً ، مرحباً .

مالك ونبزك - سلام ومودة .

مالك - جئنا معاً تلبية لدعوتك ، ونحن نقدر سببها فإ يشغل بالك يشغل بالنا منذ أيام .

أبو مسلم - أنتم موضع ثقتي وملجأ سري ومشورتي في النهاية ، ولا أكنتم عنكم أنا في حاجة قصوى إلى مشورتكم ، لا أقول إنني أفتقدت شجاعتي ، ولكنني مبطل الخاطر ، فبينما سلامتي في اللجوء إلى خراسان ، أشعر بما يجذبني إلى المدائن ، وهذا أبو داود يكتب إلي من خراسان محذراً من معصية الخليفة ومن الرجوع إلى خراسان إلا بأذنه ، وهذا أبو اسحق الذي أثق به ، وقد أوفدته إلى أبي جعفر ليؤتيني برأيه ، فجاءني يقول إنه لم يجد من يقوم ما ينكره ، وأنهم معظمون لحقسي ويشير علي بالرجوع إلى أبي جعفر فأعذروا إليه عما بدر مني وأستعيد مودته ، وهذا أبو حميد رسول أبي جعفر ينقل إلي رسالة شفوية عنه كلها وعيد وتهديد إن أنا خالفته ولم أذهب إليه ، بينما يعدني بكل خير إذا أنا طاعته وعدت إلى التعاون الكامل معه ، وهام أصدقاؤنا من بني هاشم حضروا مجلس أبي جعفر يكتبون إلي معظمين أمره ، محذرين من عاقبة مخالفته ، ملحين بمثولي بين يديه والتماس رضاه ووسط كل هذه البلبلة أشعر بما يجذبني قسراً إلى المدائن .

مالك - نشعر بعجبة محكمة حولك تمنعك من الفكاك نشعر بمعجزك عن النجاة فستسلم دون تفكير ولا صراع ، وما هذه بطبيعة أبي مسلم إن أبا جعفر لسفاح وإن تظاهر بالحكمة والتقوى ، وقد أباح دمك منذ بزوغ نجمك ، ونجلي عظمتك ، فهو حقوق حشود ذو منطق أناني لا يرحم ، وقد أحل دمك منذ سنين وإن لم يعلم ذلك ، وقد حاول تحطيم أعصابك بدسائسه الخبيثة الواسعة النطاق التي تعتمد على التهديد والقرع في آن واحد ، والرشوة سلاح من أسلحته وبها استعان عليك بمنافسيك وأصدقائك في آن واحد ، وبين الأولين منافسك أبو داود حتى تئأس من اللجوء إلى خراسان ، وبين الآخرين أبو اسحق الذي أجزل له أبو جعفر العطاء ووعدته سرا بولاية خراسان ثمناً لخديعتك

فتيقظ يا أبا مسلم ، تيقظ وعد إلى عزك وحزبك ، ولا تعباً بما يقول أبو حميد عن

المنصور . لا تسمع كلام هذا الرجل ، ولا يهولك هذا منه ، إمض إلى خراسان ولا ترجع ، فوالله لئن أتيت المنصور ليقتلتك ، وقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك بعده أبداً أبو مسلم — وما وراءك أنت يا نيزك ؟ اني والله ما رأيت طويلاً أعقل منك ، فما ترى ؟ فقد جاءت هذه الكتب وقال القوم ما قالوا ، وقد سمعت رأي صديقنا الحليم مالك . نيزك — لا أرى أن تأتي المنصور ، وأرى أن تأتي الري فتقيم بها فيصير ما بين الري ، وخراسان لك ، ومم جندك ، ما يخالك أحد ، فإن استقام لك استقامت له وإن أبي كنت في جندك ، وكانت خراسان من ورائك ورأيت رأيك .

أبو مسلم — إنني أشعر بقوة خارقة مسيرة تدفعني إلى المدائن ، ولو لقيت حنفي :

ما للرجال مع القضاء محالة . ذهب القضاء بحيلة الأفوام !

نيزك — أما وقد عزمتم على هذا ، ولم تستمع إلى مشورتنا — وإن تظاهرت بطلبها والاهتمام بها — فأحفظ عني واحدة : — إذا دخلت عليه فأقتله ، ثم بايع لمن شئت فإن الناس لا يخالفونك ! (قاصد موسى رهبة مدة نصف دقيقة ما بين النظر الأول والنظر الثاني)

المنظر الثاني

(يمثل حجرة الاستقبال في دار عيسى بن موسى ابن أخي المنصور وصديق أبي مسلم الخراساني في المدائن ، وقد تناول أبو مسلم الفداء عنده) .

عيسى — سيأتيك ما أفني القرون التي مضت وما حل في أكناف ماد وجرم ومن كان أنأى منك عزاً ومفخراً وأنقض بالجيش اللهم المرمر !

أبو مسلم — (مدحوراً) هذا مع الأمان الذي أعطيت ؟ !

عيسى — اعتق ما أملك إن كان هذا الشيء من أمرك ، وما هو إلا خاطر أبداء لساني .

أبو مسلم — فبئس الخاطر ، والله إذن ... (— تدخل الجارية —)

جارية — مولاي ، بالباب رسول من أمير المؤمنين يدعو ضيفنا للثول . . .

عيسى — لينتظر الرسول قليلاً حتى أتوضأ .

أبو مسلم — لا أريد أن أطيل انتظاره إذ أني لم أمكث في حضرة الخليفة إلا برهة قصيرة مساء الأمس ، فقد دخلنا المدائن بعد أن أرخى الليل سدوله ، ومع أنه قد تلطف مني ، فلم أرعج يا عيسى إلى ابقسامانه المتكلفة التي بدت كقناع شفاف ، بيد أني لم

أتبين النيات المبهمة التي وراءها

هيمى - كل خير ان شاء الله ولكن لا تجعل بالدخول حتى أحضر وأدخل معك .
(يخرج هيمى للوضوء - وعلى الاثر تدخل الجارية)

الجارية - يلتبس الرسول أن لا تبطىء يا سيدي لأن أمير المؤمنين لا يحب الإبطاء .

أبي مسلم - اذن علي أن أتوجه دون انتظار مولاك . .

الجارية - صحبتك العناية والسلامة يا سيدي

أبو مسلم - (مضطرباً) السلامة ، وهل من خطر ؟

الجارية - هذا دماء صالح يا سيدي يقال حتى للأسد ، وأنت ذلك الأسد

أبو مسلم - (مبطل الخاطر لهذا الوصف الرمزي القوي ذكره النجم فهلاي حلوان) الأسد .
(فاصل موسيقى رهيبه نصف دقيقة ما بين المنظر الثاني والمنظر الثالث)

المنظر الثالث

(يمثل قاعة الاستقبال في قصر أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور بالمدائن - بعد المنظر الثاني بوقت قصير ، قبيل الاصيل) .

أبو مسلم - السلام على مولاي أمير المؤمنين .

أبو جعفر - تقدم يا أبا مسلم ، مالي أراك مضطرباً ؟ هلم واجلس بقربي .

أبو مسلم - لقد نزع الجند سلاحي ، وهذا ما لم أعوده من مولاي

أبو جعفر - لا تتكدر لذلك يا أبا مسلم ، فهذا نظام متبع في القصر دون استثناء منذ زمن طويل ، ولكنك باعدتنا فلم تلحظه قبلاً . . . ومهما يكن من شيء فلن يطول بقاؤك هنا . . .

أبو مسلم - (متوجهاً ثراً) لقد قطعت ورجالي الفراسخ الطويلة لاحظى بالمشول طويلاً بين يدي مولاي .

أبو جعفر - انك لم تقطعها طوعاً يا أبا مسلم ، بل نحن من جعلناك تقطعها اضطراراً بعد أن سددا في وجهك جميع أبواب الهروب والخلاص ، بعد أن أثبتنا لك غرورك الكاذب وغيباءك الفاضح - فقد ألبنا عليك منافسيك وأصدقائك ، وجعلنا وقرأ في أذنك فلم تستمع إلى تحذير البصيرين من خلصائك الذين يعرفون أن الغدر لا يمكن أن يصفح عنه لدينا ، واشترينا من حضر معك من قواد

أبو مسلم - مولاي ! أهذا هو الأمان الذي قطع لي ؟ أيقال لي هذا بعد بلائي في خدمتكم جميعاً ؟ أيعاب عليّ حرصي على حياتي ولا يعاب الغدر بي ؟ من أي نسم هذا ؟ أمن الاسلام وهو الكريم المتسامح الذي لا يجزي الحسنه سيئة ، أم من الرجولة الفحلة واهون صفاتها المروءة وحفظ العهد ؟

أبو جعفر - صه يا لعين أتبكتني في داري وقد خرجت من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ، لقد نكثت بنا فحكنا عليك لأنفسنا حكمك على غيرك لنا ، ولم تمنعنا رماية الحق لك من إقامة الحق عليك ، إن ذنوبك لا أكثر من أن تحصى ، وقد تعددت انتقاصنا بكل وسيلة شيطانية قدرت عليها .

أبو مسلم - لا يقال لي هذا بعد بلائي في دولتكم وما كان مني .. هون من غضبك يا مولاي ، ولا نجسم الأمور فلن تكون الرابع ، إن حكم الله ثم حكم التاريخ فوق حكم الملوك

أبو جعفر - (ساخطاً) لو كانت أمة مكانك لأجزت فاحتيتها ، انما عملت ما عملت في دولتنا وبوحيناه ولو كان ذلك إليك ما قطعت فتيلاً ، فلتذهب الى الجحيم ...
(يصفق أبو جعفر فيدخل أربعة من رجاله شامري السيوف ويفربون أبا مسلم فيصيح)

أبو مسلم - يا أمير المؤمنين استبقني لعدوك
أبو جعفر - لا أبقاني الله إذن ، وأي عدو أعدى لي منك ... (غاطباً رجاله)
اضربوا قطع الله أيديكم

(تسمع ضربات السيوف)

أبو مسلم - (وقد خارت قواه) الرحمة يا مولاي ... العفو ... العفو ...

أبو جعفر - (منتفياً) العفو وقد اعتورتك السيوف ؟ !

زعمت أن الدين لا يقضي فاستوف بالكيل أبا مجرم !

سُقيت كأساً كنت تسقي بها أمرّ في الخلق من العلقم !

(يدخل عيسى بن موسى فيسائل عن أبي مسلم)

عيسى بن موسى - أين أبو مسلم ؟ لقد سبقني لاني تأخرت في الوضوء ...

أبو جعفر - (في وحشة قريرة) - تعني أبا مجرم ! ... ها هو ذاك في البساط ،

وقريباً في دجلة !

(وسبق حزينه لمدة نصف دقهة خقأماً للرواية)

باسم أمير المؤمنين

درامة شعرية في فصل واحد ذي منظرين

أهمل شخصيات الرواية

العاس باسل
رئيس المسس

الجارية صباح
العاس ماجد

(الوقت : غروب يوم صيفي سنة ٨٠٥ م — المكان : حرج النخيل بحيرة بغداد . المشهد : الجارية صباح وبض الظالم في رؤوس النخيل وهي تفتي لهم بصوت حزين رثاء بني برمك ، فيقولون في آخر كل صوت : يا « مواليا » ، اشارة الى ساداتهم . وقد فاجأهم المسس على هذه الحالة .

المنظر الأول - في طريق النخيل

أصوات بعيدة - يا مواليا يا مواليا

الجارية صباح (يسمع انشادها من بعد ضيقاً) -

منازل كنت فيها بعد بعدك درس خراب ، لا للمزا نصلح ، ولا للمرس

رئيس المسس - أسمع يا باسل ؟ - هلمسوا بنا !

(يسمع وقع أقدام المسس متجهين الى النخيل)

باسل - كأنه ترجيع إغوال لجنة منفره - قد فقدت مأوى لها ، ولم نزل محبسة !

ماجد - لعلها تندب كأساً من شراب الشفق أو أنها هاذية من خرة لم تقق !

رئيس المسس - أتركا الهذيان ما عويل الجان

هذه الاشجان أو غناء ألحان

بل رثاء خان من يغنيه !

(يسمع الفناء مقرباً ، فينصت اليه المسس)

الجارية صباح (تنشد) :

فأين يمينك تنظر كيف فيها الفرس تحم وألسنة المداح عنها خرس ؟

الغلمان المتجاوبون (يشدون) - يا مواليا ! يا مواليا !

رئيس الممس - أبعد هذا تكابرا ؟

استمعا ! استمعا ! - هذا نداء الخيانة

باسل (متجبا) - وأي خيانة فادت بها الألحان والسم ؟

أذكر القرس معناه بلاء سوف يستمر ؟

ماجد - ألم تحمما ؟ تلك نجوى فتاة يجاوبها صبية منشدون ؟

(مستغرا) لعل الجميع بكوا للنهار ، فباتوا روائمه يندبون !

وفيم التدخل في أمرهم وتعرضهم لخبيث الظنون ؟

رئيس الممس (متنجرا) - قد ضقت ذرعاً بكما !

باسل - (متجبا) أعلينا اختراع الذنوب للناس إذا ما خلوا من الأوزار ؟

رئيس الممس (متغفا) - أيها الأبلهان ! إننا ندبنا لاكتشاف الأذى وأهل الريبة

لا ليعمي الفساد من وهما !

باسل - الوم هو الظن بالبريء الذنوبا - لا بنو برمك ، ولا قاتلوم ، غفلنا

ماجد - حسبنا ذبول المصيبة

صفت بالكواكب الغرّ فينا ، وأدالت معاقلاً وقلوباً

رئيس الممس - كفى هذياناً ! فما قد وصلنا !

(إقهاء المنظر الاول ، اذ يبلغ الممس حرج النخيل)

المنظر الثاني - عند حرج النخيل

الجارية صباح - (تنشد في صوت متهدج واضح فيرد عليها الغلمان منشدين من رؤوس النخيل)

منازل ، كنت فيها ، بمد بعدك هرس خراب ، لا للعزا تصلح ، ولا للعرس !

فأين حينيك تنظر كيف فيها القرس تحكم ، وألسنة المداح عنها خرس

الغلمان (منشدين) - يا مواليا ! يا مواليا !

رئيس الممس - اهبطوا يا جناء !

الجارية صباح - من أنت يا هذا ؟ أتحمك في الوري حتى ولو سكنوا رؤوس نخيل ؟

إننا تركنا أرضكم لشروركم ، فعلام تلعبنا ؟

- رئيس العسس — دعي تضليلي !
 أم الخليفة أن مثلك قتلها حل ، وقد هفت بكل وبيل !
 أزوجين لآل برمك بعد ما جروا ؟
- الجارية صباح (ناثرة) — خست ومت أي ذليل !
 رئيس العسس — هلمي إذا ما نشدت الحياة لكي تطلي العفو !
 الجارية صباح — لم آت ذنباً !
 رثيت بشعر الوفاء الأبى موالى !
- رئيس العسس — رثيت الجريمة والجرمين !
 الجارية صباح — إنما المجرمون سادتكم الفر الذين افتروا على الأعلام !
 وأذلوا جباه من أنقذوم وأطاحوا رأس الرئيس الهمام !
 آه يا جعفر !
- رئيس العسس — الخيانة ليحت غير هذا ، وقتلك الآن واجب !
 فاسكتي واحبطي ، وإلا فاني صاعد !
- الجارية صباح (متحدية) — مرجباً انطلق وحارب !
 الغلمان (يشندون) — يا مواليسا ! يا مواليسا !
 باسل — هذه امرأة منكوبة !
 ماجد — قدعها وغلمانها !
- رئيس العسس — يمين الله لن أرغى !
 باسل — فيم الحماسة هذه وأميرنا آس على ما كان من نكبات ؟ — أول بنا ضمد الجروح .
 ماجد — أجل ، فايحني السلام بقسوة وترات .
- رئيس العسس (ناثراً) — أقسمت أقطع رأسها إن لم تنجي لي صافرة !
 باسل وماجد (متكررين معاً) — برئنا منك !
- باسل — أما كفت حميرات أشعلت مهجاً وقسمت أئماً من بعد توحيد حتى نفل
 نعاذي الناس ؟
- ماجد — زهقهم ، كأنما هم غصايا في الصفافيد !

الفلان (يشدون) - يا موالياً يا موالياً !
 الجارية صباح (معدية) خذني من بعد إني حليبي ارتق النخلة إن كنت هجها
 لحت إلا رمز عهد ناسد كلما أومن في عسف تداهي !
 رئيس العسس - سأريك الموت ألواناً ! (يسمع صوت لصوده الى أعلى النخلة)
 بصل - حذار ! فان خنجرها ليجمع
 ماجد - وهي لا تخشى !
 رئيس العسس - وباسم أمير المؤمنين أصيبتها !
 الجارية صباح - ليسعدني طمن الضلال بصدركا
 وهيات أن تلقى لدى الحق مطعنا !
 حذار إذن ! ولتغد لاحق مدركا !
 رئيس العسس - خذي ضربي ما دام حقلك من جنى !
 (تدفع بفربتها خنجره فيسلط من يده الى الارض ويسمع صوت سقوطه)
 الجارية صباح - تحت رحمتي الآن أنت ، لكنني أهف عنك !
 رئيس العسس (محاولاً أن يرقا لها جها بيديه) - باسم أمير المؤمنين يداي لكفياي !
 الجارية صباح - خذها إذن فجلأ باسم الحق وحده !
 (تطحن في صدره دقاً من نفسها ، فيسقط من أعلى النخلة وهو يمسح الى أن يقع على الارض ميتاً)
 رئيس العسس - آه آه !
 (في ذعر وهو يسقط الى الارض)
 الفلاني (في نوبة الانتقام) - يا موالياً يا موالياً !
 (يضع الصوت عند الختام مع المد فيه)
 (يمتد الانشاد ثم ثلاثي مع موسيقى ملائمة)

[النهاية]

أكبر خان

درامة في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

شخصيات الرواية

الملك أكبر خان		الشاعر فيظي
مظفر خان - وزير مالية أكبر		دانا بول - هندوسي أهوس
القياسوف أبو الفضل		هارنوم - رئيس حراس الملك أكبر

انديرا - حبيبة دانا بول

المنظر الاول

(غرفة الجلوس بمنزل دانا بول صباحاً وهو يزرع أرض الغرفة حيثة ودعابا بينها حبيشة إنديرا تحاول تهدئته)

دانا بول - إذن أنت متخلية عني يا إنديرا ، بل متخلية عن تراث الآباء والأجداد ، بل عن ديننا المقدس - أنت يا من كانت شملة الوطنية تعبس من ألفاظها النورانية المتأججة ، أنت يا من طالما نظر إليها بوذا من ملكوته بشغف وفخر وتقديس ، - أنت ، أنت

إنديرا - كفى ، كفى ، يا دانا أكذا يتطير الحديد المهي حتى ليكاد باستمراره يفقد كيانه أيؤثرني بوذا ، كما تقول ، وتنكرني أنت ؟

دانا بول - ماذا يعجبك في هذا الدخيل ؟ إن الجمعية اعتمدت علي ، وأنا أعتمد عليك ... لست أنا الذي يعن أمة فضحية ، ولكني أضن بمؤامرتنا أن تفشل ليست البطولة في الاقدام ، ولكن البطولة في النجاح أنت أعز علي من نفسي يا إنديرا ، ولكن بوذا الذي أطل علينا بعد ابتئالنا الأخير لم يدع لجمعيةنا مناصاً من هذا القرار الحامم .

(تبكي إنديرا)

ما هذا البكاء يا ابنة الكنج ؟ أتحمسين أنني من يرضك للمخاطر خافلاً ؟ لقد ابتهل

ليلة أمس الى بوذا ليرشدني فأوحى اليّ أن أعتد عليك ، لأنك شجاعة رزينة تملكين
أعصابك فتطيعك ولا اطاعة العبد سيده :

أنت لولاك ما خلقتُ ، فربي عالمٌ أنفي بدونك لغوٌ
يا نصيدي ، بل يا زمير (بوذا) أيُّ حلوٍ إذا يسوؤك حلوٌ ؟
لا تخافي ... فلن يمسك ضررٌ وسيتلو النجاح جرحٌ وصفوٌ ؟
(تكفك انديرا دموعها وتخفف من بكائها)

انديرا - أنت وامم يا دانا ، فلم أكن يوماً بالجبانة طبعاً ، ولكن الحب جبانة
إني لا أبالي بحياتي يا مغمومي ، ولكنني أخشى الفشل فأجني عليك وعلى نفسي ... إن
الحياة جميلة بك يا دانا ، ولا أريد أن أمت دونك ولا معك أطلب الحياة من
أجلك - من أجلك وحدك يا حبيبي وتطاولي على أكبر خان بله فقله هو الموت المحقق
لي ولك .

دانا بول - هذا لن يكون وقد حلت ببوذا يباركنا

انديرا - ولكنك لم تحلم بالحب مباركا هذه الجريمة

دانا بول - أية « جريمة » يا انديرا ؟ إن هذا لهذيان منك بل كفر وتجديف ...
أبكون القربان لبوذا جريمة ؟

انديرا - بوذا هو الحب ، والحب مكته قلبي ، واهمعه في الأرض والسماء . انه لم
يوح اليّ مرة بغير الرفق والتسامح يا دانا ...

دانا بول - أجنبت يا انديرا ؟ ... ان أنفاس (أكبر) لتدنس هواه الوطن ،
وظله ليدنس أرضه :

حار على الوطن العظيم بأهله أن يرتضي حكامه الغرباء

أنسيت يا انديرا كيف يطأطيء كهنقنا الأجلاء الرؤوس له ، وكان الأولى به أن
يتبارك بتقديم منزلتهم بل بلثم أقدامهم ؟ أرضيك هذه الجوامع تقام بدل هياكل
(بوذا) النورانية . اذا تدنس أصل التربة فكل نبت دنس . أنت قديسة يا انديرا ،
ومثلك مسؤول قبل الناس من تطهير الوطن من هذا الدنس . ان النور - لا الظلمة -
موكل بالنقاء والطهارة واذا غفلت الظلال ونامت فما يجوز للأشعة أن تنام
انديرا - تبارك بوذا في ملكوته !

دانا بول — وتباركت أنت من نورانيتنه وجماله... لبقى لك إيمانك دائماً قوة
وبهاء إن (هارنوم) رئيس الحراس صديقي، وسأوصيه بك خيراً ليجهد لك لقاء ذلك
الطاغية الدخيل فيتلقي من يدك الطمعة القاضية... اعتمدي على (هارنوم) فإنه يحبني
ولا يخيب لي رجاء. أجل، اعتمدي على (هارنوم).

(تسمع طرقات على الباب فتفتض انديرا شوقاً)

إنديرا — (بصوت خافت) من ترى ؟ لقد كشفنا . لقد كشفنا .

(تنجد الطرقات)

دانا بول مؤنبا بصوت خافت (تمالكي عن روعك .

دانا بول — (بصوت مرتفع) من الطارق ؟

هارنوم — ألا تزال تحلم يا صاحبي ، أنقض الكرى عن تمك فتعرف صديقك الحميم

دانا بول (غاطباً انديرا بصوت خافت) هذا هارنوم فاطمئني !

(بصوت مرتفع بحياء الطارق) — أهلاً بالحبيب الأعز . أدخل يا هارنوم

فالأبواب ليست إلا...

(يدخل هارنوم)

هارنوم — سلام يا صديقي الأعز . ومن هذه الزهرة القواحة ؟

دانا بول — هذه خطيبتني إنديرا .

هارنوم — يومي سعيد يا آنة بلقائك .

إنديرا — الحظ حظي أنا يا سيدي .

هارنوم — لماذا لا تخفض من صوتك يا صاحبي ! سمعت اممي يردد على لسانك .

فاية « مؤامرة » تريد أن تزج بي فيها ؟

إنديرا (واجفة) — مؤامرة ! ؟ .

هارنوم (ضاحكاً) هذا مزاحي يا آنستي مع صديقي (دانا) ، فاني أعلم أنه لا يذكرني

إلا بالخير .

دانا بول — « مؤامرتي » يا أخي هي نصحي (انديرا) أن تقصدك لتهد لها لقاء

جلالة الملك .

هارنوم - وهل لديها ظلامه ؟

دانا بول - نعم ، ولكنها ظلامه شعبية ، لا خاصة بها وحدها .

هارنوم - وهل لي أن أعرف ما هي ، فقد أوفر عليها العناء وأحقق لها بغيتها من أهون السبل .

انديرا - إن شكواي خاصة بالخدمة العامة الواجبة لربنا (بوذا) تبارك وتعالى !

دانا بول و هارنوم (في وقت واحد) - تبارك وتعالى !

انديرا - ولذلك أوتر احتراماً للرب المقدس أن أحتفظ بسر مهمتي حتى أنصرف بالمثل بين يدي جلالة الملك .

هارنوم - كما تشائين يا آنستي ! كل ما عليك إذن الحضور الى مكتبي في القصر الملكي عند الغروب فتشرق شمسك فيه . ولا ريب أن جلالة الملك سيهره حسنك الفريد

انديرا - هذا تطف منك يا سيدي كما يشفق النسي على العشب .

هارنوم - بل هو تطف الزهرة التي تضيف الندى .

انديرا (وهي تم بالخروج) - استأذن للانصراف حتى أستريح وأهيم أعصابي لمهمتي الخطيرة في هذا المساء .

دانا بول و هارنوم (في وقت واحد) - على بركة (بوذا) وفي حفظه .

(ينتهي المنظر الاول وهي خارجة)

المنظر الثاني

مكتب هارنوم رئيس حراس الملك أكبر عند مدخل القصر الملكي وقد جلس معه صديقه مظفر خان وزير المالية وهما يتحدثان في شؤون الدولة

هارنوم - هذا - لا ريب - نبأ سار .

مظفر خان - (متفتناً نحو الباب) من هذه الحسنة الواقعة بالباب ؟

هارنوم - هذه خطيبة صديق عزيز ، ولها حاجة عند صاحب الجلالة . وإني

لاستأذنك يا صديقي في دخولها .

مظفر خان - بكل ترحيب .

هارنوم - أدخلني يا إنديرا واستريحني معنا قليلاً .

إنديرا - شكراً يا سيدي !

هارنوم - مالك مضطربة يا إنديرا ؟ إن جلالة الملك آية في التواضع ومحبة شعبه فلا تهابي لقاءه ، وستسمعين من صديقي صاحب السعادة مظفر خان وزير المالية آيات عن عظمة جلالته ، فقد كأل يحدثني عن ذلك منذ لحظة .

مظفر خان - نعم ، نعم . إن مولاي صاحب الجلالة يقصر مجلسه على العاملين النافعين من وزراء وغيرهم ، ويقرب إليه أهل العلم والآداب ، وحديثه متعة الألباب لأنه يتم عن ذكاء خارق وخبرة ناضجة . وهو أبعد الناس عن الأنانية وعن الملمات الرخيصة ، وحتى طعامه مقصور على وجبة في اليوم . ويكفي برهاناً على ذهنه الوقاد اختراعه للبندقية أبوبة الحديد التي لا تنفجر . أما سياسته الحكيمة فهي غنية عن التعريف .

إنديرا - لقد شرفت يا سيدي بالاستماع الى حديثك ، وأنا لا أفهم شيئاً في السياسة مطلقاً ، فهل تسمح لي رغباً عن قصوري وعجزتي أن أسألك ما الذي صنعه جلالة الملك المسلم لرعاياه الهندوس ، ثم أية حرمة أصبحت ترمي لبوذا تبارك وتعالى ؟

مظفر خان - في مقدمة ما ترمي مولاي الملك يا بفتي نحو طائفتك الكبيرة أنه ألغى الجزية عن الهندوس وقد تشبث بها سابقوه ، ومنع زواج الأطفال واشترط رضى الزوجة والزوج لصحة الزواج ، وحرّم حرق الأرامل وأباح زواجهن ، واحترم عقائد الناس جميعاً ، وأنشأ بيت الحكمة الذي يجتمع فيه أئمة الدين جميعاً وفي مقدمتهم أئمة البوذية . أما ما صنعه للمملكة عامة فأهمه ضمان الحرية الشخصية حتى مع المتهم الذي يحقق معه ، فقد حرم تعذيبه للاعتراف . وبلغ من حب مولاي الملك للمدالة أنه أمر بتعليق الناقوس المشهور أمام القصر فيدفعه أي متظلم فيستقبله جلالته بنفسه ، وينظر في شكواه فوراً . وهكذا ترين أنك في غنى عن وساطة هارنوم ، أو وساطتي ، أو وساطة أي كائن ، عدا هذا الجرس ، إذا شئت التظلم الى مولانا الملك . فاهي ظلامتك !

هارنوم - تقول إنها لا تخصها بل تخص الهندوس عامة ، أو على الأصح تخص مبعودها (بوذا) . هذا ما فهمته منها . كذلك فهمت أنها تحتفظ بسر غلامتها حتى تمرضها

على جلالة الملك

مظفر خان - إن مولانا الملك يحترم تعاليم (بوذا) كما تدل على ذلك منافع (دار الحكمة) وقد أزال جميع الفوارق بين الهندوس والمسلمين حتى في الضرائب، وثبتت الملكية الزراعية للفلاحين ومعظمهم من أتباع (بوذا) وأبى ألا أن ترفع الشكاوى إلى جلالته رأساً. ومبدؤه أن تحكم الهند لمصلحة الهند، وأن ترمي مصلحة الشعب أولاً وأخيراً باعتبار أن الحكومة أداة لمصلحة الشعب لحسب. وبوصفي مدير بيت المال أعرف كل هذا معرفة اليقين. فهل لا تزال في ضميرك شكوى بعد هذا البيان؟

إندرا - (ل حرم) أجل، يا سيدي. إن بنفسى شكوى خطيرة زادها هذا البيان اشتعالاً، كما زادني طاقة على احتمالها. ولا بد لي من دفعها للملك!

مظفر خان - كما تفأين يا بني، ولك أن تستصحي هارنوم إن أردت.

إندرا - لست بحاجة إلى هارنوم الآن!

مظفر خان إذن أشير عليك بالانتظار برهة فإن بحضرة جلالته الفيلسوف العالم أبا الفضل رئيس (بيت الحكمة)، وكذلك الشاعر الكبير فيظي، وهذا وقت راحة لجلالته بعد انكبابه طول النهار على العمل لحير الشعب وحده، على الرغم من كثرة وزرائه.

إندرا - سأنتظر، فالانتظار صديق الإنسان إذا لم يعقبه التخدير فالهوت. وسأترك لك يا سيدي تحديد «برهة» الانتظار.

نعم سأنتظر، فقد عاش قومي على الانتظار!

(انتهى المنظر الثاني وبقية المنظر الثالث)

المنظر الثالث

في بهو الاستقبال بالعرش الملكي وقد وقف الشاعر فيظي يشهد بين يدي الملك قسيمة وجلس بجانبه الفيلسوف أبو الفضل

الشاعر فيظي - قد ملكت القلوب بالعدل فينا أين هذا من حكم مات وجان
(متاباً أنشاده) «والمساواة» لم تكن قبل إلا نزوة، فافتدت حل الأديان
رضى الله والنبيون جميعاً كرضى العلم والحجبا والبيان

ما نشيدي حين الطبيعة فاضت بالمعاني وعبرت عن جنائي؟
حين روح السلام والحب شكرا ن حني ، وخالد في الزمان ؟

(يسمع قرع ناقوس ، فيتوقف الشاعر عن الانشاد)

الملك أكبر - اصمحي يا (أبا الفضل) للشاكي بالمثل ، ولو أن الوقت ليل .
أبو الفضل - ميماً وطاعة يا مولاي . كدت أقول لأخي فيظني : « أحسنت وقصرت
في آن » ، وما هي مماحتك يا مولاي تؤيد حكمي ، فقد جددت عهد الفاروق كما
استوحيت روح الرسول الكريم .

(يتجه أبو الفضل الى باب البهو لينبه الشاكي)

الملك أكبر - أحسنت بفنك يا (فيظي) ، وبأ ليقني أنجح في تحقيق ما نصبو إليه
فاستحق حينئذ ثناءك . سنستمع إلى قصيدتك كاملة في (دار الحكمة) حيث يوجد
ملوك الفن والكلام ، وحيث أكون من رعاياهم .

الشاعر فيظي - عفواً يا مولاي ، وإن يكن تواضعك حلية تاجك الوضاء
أبو الفضل - هذه فتاة تلتصق يا مولاي المثل بين يديك
الملك أكبر - تقدي يا بنيّة !

(تتقدم انديرا نحو الملك واجفة ، ويسمع صوت تجريد مديتها)

أبو الفضل وفيظي - (صارخين ، هاجين طليها) - أجنونة أنت !
الملك أكبر - دماها تطعني إذا شامت ، فاني لأرتضي أن أكون قرباناً لبنات
جنسها بعد أن حررتهم لأول مرة في التاريخ !

انديرا - لن أمس الملك الصالح العادل بسوء ، وإنما أضع هذه المديّة عند
قدمه وأقبله رمزاً لتكفيرتي وإيماني وإني حينما أضع هذه المديّة أضحي بأغلى
شيء لنفسي وهو الحب وأحكم على نفسي بالفناء .

الملك أكبر - انهضي يا بنيّة ! فقد حكمت لنفسك بالحياة ، وحكمت لأمتك
بالخلود . إني لن أسألك أي سؤال ، وأحمد الله على أن المرأة في أمتي هي رسالة الإيمان
بعد الكفران ، والأمينّة على الإصلاح والحرية . (انهضي يا بنيّة انهضي) !

[نمت الدوامة]

الطائر الطليق

درامة تاريخية في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

أشخاص الدراما

ابن سينا الفيلسوف محمد بن عطاء — الشاعر
أبو عبد الله المعصومي — تلميذ ابن سينا بثينة — إحدى معشوقاته

شرطيان

المنظر الاول

(في الطريق العام - يسمع وقع اقدام شرطين في منتصف النهار)

الشرطي الاول - هذه مشكلة يا زميلي . . . لقد انتصف النهار او كاد ، وها نحن قد ابناء بخفي حنين ، فاذا نقول للامير ؟
الشرطي الثاني - إن الدار خاوية ، وخلوها بدل على مؤامرة مبيتة لاختفائه واختفاء خادمه معاً .

الشرطي الاول - صدقت فاني لم أعتد الى سكن خادمه أيضاً .

الشرطي الثاني - والاعجب من هذا أنه لا يوجد دليل على هروبهما من المدينة ، كما لا يوجد أي دليل على بقاءهما ، فكأنهما لم يخلقا !

الشرطي الاول - أمّا أعجب الاعجب في رأيي فهو أن يشغل مولانا الامير الى هذا الحد بهؤلاء المجانين الذين يسمونهم « الفلاسفة » !

الشرطي الثاني - أنظر يا صاحبي ! لعلنا أمام معجزة ؟ أليس هذا ابن سينا وخادمه متجهين إلينا ؟

الشرطي الاول - أشرطي ونمخور ؟ ألا نرى يا صاح أن هذين رجل وامرأة - والرجل أبعد ما يكون صورة من ابن سينا ؟ ثم ألا تراهما كأنهما يتشاجران ؟ فهل هذا

شأن من يريد التخلي والهروب ؟ أم تظن هذا طرازاً جديداً من التصنع للتعمية ؟

(تسمع أقدام محمد بن مطا . وبثينة قادمة من وهي تخاطبه بحدة)

بثينة - من هذه « الورقاء » يا خائن ؟ هلمّ معي إلى الرئيس ليؤدبك ، وإلا
أدبلك أنا !

الشرطي الأول - ماذا جرى يا امرأة ؟ ومن هو الرئيس الذي تتحدثين عنه ؟

بثينة - إني أشكو محمد بن مطا خطيبي الخائن ، وسأفوده رغم أنفه إلى دار أستاذه
ابن سينا .

الشرطيان (متآبه دمتة) - ابن سينا ؟ وأين هو ؟

بثينة - في داره طبعاً . فهل طارت الدار ؟

الشرطي الأول - بل طار هو !

بثينة - لماذا تسألان ؟

الشرطي الأول - مولانا الأمير يطلبه وقد مجهزنا عن الاهتداء إليه ... يجيل إلي
أن عليك البحث عن ابن سينا آخر ليكون قاضي الغرام (يقهقه وزميلة)

الشرطي الثاني - أشك في توفيقها إلى ثأر له ، فهو حقاً الرئيس في هذا النوع من
الفلسفة ... هو قاضي الغرام ، وأستاذ الغرام ، وآكل الغرام وهاربه ! (يقهقه وزميلة)

الشرطي الأول - ولكن لماذا لا نحكم نحن ، وقد أصبحنا أو أوشكنا أن نصبح
من المحبوسين ! (يقهقه وزميلة)

م " تفكرين يا امرأة ؟

بثينة - نعمته يا سيدي يعني في الطريق :

هبطت إليك من الملح الأرفع ورقاء ذات تدلل وتمنع !

فلما تطلعت وجدهت يغازل فتاة كانت تطل من نافذة . ولما كفت هبته ، حاول
التمخلص منه ، مدعيّاً أنه إنما كان يعبد الله سبحانه وتعالى

الشرطيان (مقاطعين) ها ها ها ها

بثينة - وأن « الورقاء » ما هي إلا النفس ، وأن هذا هو الرمن الذي اختتمله
أستاذه ابن سينا ، ويظهر أنه خليع مثله يلعب بالانقاط كما يلعب بالمذارى

الشرطيان (مقاطعين) - ها . ها . ها .

الشرطي الأول - عليك يا امرأة أن تمسكي بتلابيبه ، وإلا طار منك إلى عزيمته « الورقاء » كما طار ابن سيدنا رضي الله عنه (يهقه الشرطيان)

ابن عطاء - هل للمعسر أن ينطق بأذنكم الآن ؟ (يهقه الشرطيان)

الشرطي الأول - وورقاء ذات تدلل هبطت إليك ! (يهقه الشرطيان)

المنظر الثاني

(بعد الغروب في قاعة التدريس بدار أبي عبد الله المعصومي وقد اجتمع صفوة من طلبته تلبية لدهوته ، وقبيل وقت الدرس دخل ابن عطاء وبثينة) .

ابن عطاء (مخاطباً أستاذه المعصومي) - لقد اصرت على الحضور يا سيدي ، واني لضمن لها ، فكن مطمئناً ولا تغضب علي اجل ، اني لضمن لها

المعصومي - هل قدرت غاية هذا الاجتماع ؟

ابن عطاء - اجل يا سيدي ، وهي اهل لكل ثقة بها ، ما دمت اهلاً لتقتكم بي وبعد ، فأنت من قال الرئيس عنه : « مني بمنزلة أرسطو من أفلاطون » فدعنا نعرف من علمك ونصحك وإرشادك .

المعصومي - حسناً ! اجلسا في ناحية مع اخوانكما .

(يسمع صوت جلوسهما)

ابن عطاء - فكراً لكرمك يا سيدي .

(ثم مخاطباً بثينة في ميمس) - ستسمعين بعد لحظة حديث أستاذنا العلامة ، وسنرى أنك كنت على ضلال في مزاحمك عني وعن الرئيس .

بثينة (هامة) - سنرى . ومع ذلك قفناؤك للورقاء لم يبارح أذني !

ابن عطاء (هامساً) - كرهت إليّ والله الغناء والورقاء ، وأخشى أن تكرهني إلي الفلسفة إن لم ترجعني عن هذا النفي . والآن ميمماً ، فيها هو الأستاذ موشك أن يتحدث .

المعصومي (مخاطباً الحاضرين) - السلام عليكم ورحمة الله - أما بعد ، فقد دعوتكم لسماع خطابي عن الرئيس في مناسبة خطيرة ستعرفونها وأنتم صفوة تلاميذه وأحبابه والمؤمنون على أمراره . ومن هو الشيخ الرئيس ابن سينا ؟ أنتم بحاجة الى تعريف ؟
كلاً ثم كلاً ، ولكني أذكر فالدكرى تنفع المؤمنين .

إن الشيخ الرئيس هو أوحدي عصرنا بل جميع العصور ، فلا عجب إذا بذل الأمراء ما بذلوه لاجتذابه إليهم ، ولا عجب أيضاً إذا هو نفر منهم وقرر الفرار من كركاج .
أصوات (في دمنه) - الفرار ؟

المعصومي - نعم الفرار . فإن اضطهاد رجال الفكر والفلسفة هو الشائع في هذا الأوان وما هم جميعاً إلا تلاميذ الرئيس ، فلا ساءة اليهم اساءة إليه :

ولا يقيم على ضمير يراد به إلا الأذنان : غير الحي والوتد !
والخفاوة الظاهرة لا قيمة لها إذا كان يستتر خلفها الاضطهاد الفكري . ولو عرفنا قيم الرجال لحبنا الرئيس في عيولنا .

أين سواه ذلك العبقرى الذي أتم دراسة اللغة والأدب وهو في سن العاشرة ؟
وأين غيره الذي ألم بكل معارف عصرنا هذا الامام المعجب ، وتبحر هذا التبحر الفذ في الأدب العربي والفارسي فأنحف العربية بهذا الشعر العاصر كما أنحف الفارسية برباعياته الشائقة ؟ أين سواه من علم نفسه بنفسه الطب كما صنع الرئيس ثم أظهر هذه الألمعية الفذة في العلاج وفي التأليف حتى صار « قانونه » المرجع الطبي الأعلى في جميع الأقطار ؟ أين ذلك الفيلسوف الذي أخرج من التصانيف أمثال « الشفاء » و « الاشارات » و « النجاة » التي حلت محل كتب أرسطو ؟ أين ذلك المتصوف الذي أبدع مثل ما أبدع الرئيس من الآراء في النفس والالهيات والعقل وفي تعليقاته على كتاب النفس لأرسطو ؟
إن الشيخ الرئيس هو أول من خالف القدماء الذين كانوا يعتمدون على المنطق وحده في البرهنة على لامادية النفس ومباينتها للجسم ، وهو أول من لجأ الى التجربة النفسية فقال فيما قال : « لن تصور انساناً خلق محبوب البصر لا يرى من اهابه شيئاً ، متباعد الأطراف لا يلمس جزء من جسمه جزءاً آخر ، يهوي في خلاء لا يصدمه فيه قوام الهواء حتى لا يحس ولا يسمع ، أليس بفعل مثل هذا الانسان عن جملة بدنه ؟ أليس يشعر بشيء واحد فقط هو ثبوت نفسه ؟ « فالنفس اذن موجودة وجوداً غير بدني » .

أين من فكّر غيره ذلك التفكير الصافي في تحديد صلة « الوجود » بماهيات الأشياء ، فرأى أن هناك من الأشياء ما لا يؤخذ في حده معنى الوجود ، كالمثلث مثلاً ، فأننا نتمثله خطاً وسطحاً ولا نتمثله موجوداً ؟ مثل هذا الشيء وجوده راقد على ماهيته ، عارض عليها ، وهو يحتاج في وجوده الى علة . أين سواه من خالف أرسطو في رأيه أن العالم قديم قدم الله وهو ما لا يتفق ونزعة المسلم الى التوحيد — فجعل شيخنا الرئيس الله سبحانه وتعالى متقدماً على أفعاله القديمة « بالذات » لا بالزمان ، والزمان نفسه — مع أنه قديم — مخلوق أيضاً ، تقدمه الواجب بالذات لا بزمان آخر . وقد فاض العالم عن الله بمحض ارادته ، لا عن حاجة الى ذلك ؟ وإله أرسطو لا يعقل . الآ ذاته ، وهو مشغول بها عما عداها . وأما شيخنا فيؤمن ويبشر بأن الله جلست عظمته لا يعقل ذاته فقط ، بل يعقل الماهية الكلية كما يدرك الجزئيات ، ولكن من حيث هي كلية فلا يعزب عنه مثقال ذرة . ويرجع ادراكه للجزئيات الى علمه بعلمها ومبادئها ، كما يرجع ادراك الفلكي كل كسوف جزئي الى علمه بالحركات السماوية علماً كلياً . ثم تأملوا فلسفة التفاؤل الجميلة لشيخنا الرئيس ؟ انه يرى ان عناية الله تحيط بكل شيء . وهو يعرف العناية بقوله « انها إحاطة علم الأول بالكل ، وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن نظام . فعمل الأول بكيفية الصواب في ترتيب وجود الكل منبع لفيضان الخير في الكل » . وهو يرى أن عالمنا يغلب خيره ، على شره ، ولشر الطغيان المحدود محصور في الأشخاص دون الأنواع ، ولا يصيبهم دائماً بل أحياناً ، فعاملنا أفضل العوالم المسكنة .

أيها الاخوان — لا أريد أن أكون أناانياً مستأثراً بوقتكم ، فن رغب منكم في أن يتحدث في هذه المناسبة الخطيرة عن مآثر شيخنا العالية فأني أرحب برغبتكم . وبعد صلاة العشاء سأختار أحدكم ليصحب شيخنا الرئيس في سفره ، حتى يدرأ الأذى عنه .

ابن عطاء — ليس لي من تعقيب ياسيدي سوى الشكر الذي يسهم فيه زملائي جميعاً ، خفاوتك بمجد أستاذنا الفكري وسهرك على سلامته من مكر السلطان وبطشه لها القدوة لنا ، ولكن ثقي بأننا في الوفاء أنداد . وعلى ذلك فلا تفكر في الاختيار ، فكلنا سواء في حب خدمته وافتدائه ، وأبنا قادر على ذلك .

صدق ياسيدي ولم تبالغ مطلقاً في تنويهك بقدره العظيم . وحسي أن أقول إن الأجيال اللاحقة ستسخر من زمننا الذي برغم فيه شيخنا الرئيس على الفرار من وجه الطغاة . وأين أين المصنف الموسوعي مثله ، والجهد الفحل الذي احتفظ لشخصيته

واستقلاله كما احتفظ شيخنا الرئيس على الرغم من أحاسير السياسة وتقلباتها؟ وأين من
 بزه بل حاكاه جلدًا في البحث والدراسة العلمية والفلسفية حتى لم يفتنه علم تفرج الانسان؟
 وأين من أرضى العلم والاسلام قبله بمثل تعليقه نشوء الاكوان المختلفة التي لم يعتبرها
 صادرة عن الله مباشرة ، إذ أن الوحدة الحسية لا تصدر عنها إلا وحدة ، وانما اعتبر
 مصدرها معركة الدوائر الناجمة عن الدائرة الاولى التي تحيط بالكائن الفرد ؟ أين أين من
 له هذا العقل الجبار النير الذي يهر العقول بتسلسل تفكيره الملمم ، فاذا ما نادى بأزلية
 الوجود نسبنا الى أن هذه الأزلية تختلف عن أزلية الله بأن لها سببًا خاصًا وانما بها ،
 وهذا السبب لا يقع في الزمان ، أما الله فأزلي الوجود بذاته ؟ وأين أين من يملك ذهنه
 وضع أمثال هذه التصانيف التي لا حصر لها في الطب والمنطق والطبيعات وما وراء
 الطبيعة وفي حكمه الاشراقية ونظراته وتفسيره الشرعية وفي علوم ومعارف لا تستقصى ؟
 إننا نشكرك من أمحاق قلوبنا يا سيدي ، وننتظر إمارتك !

المعصومي - إن الرئيس متوار في كوخ مهجور متهدم بجوار ناعورة الوراق
 يطوف البلدة . أما « الرفيق » فإني متنازل عن حق اختياره ثقة مني بكم جميعاً ،
 فلتختاروه أنتم من بينكم . وأما كلمة السرفعي كلمة الحق أيضاً ، هي « الله أكبر » .
 أصوات - الله أكبر !

المنظر الثالث

(بعد الغشاء في كوخ مهجور متهدم بجوار ناعورة الوراق بطرف كركانج ، وقد توارى فيه الشيخ
 الرئيس ابن سينا ، ومعه بعض متاعه) .

بثينة - (في صوت منخفض وقد اقتربت من باب الكوخ) - الله أكبر !
 ابن سينا - (في صوت منخفض كذلك) - الله أكبر . انتظر قليلاً أيها الصديق .
 هل الطريق مأمونة ؟

بثينة - (خافضة صوتها) - نعم يا سيدي ، وان وجب علينا الحذر ، كما يجب
 علينا الاسراع فالشرطة جادون في البحث هناك .

(يخرج ابن سينا من الكوخ ومعه خراج فيه متاعه)

ابن سينا - (دمعاً) - امرأة .

بثينة — أجل يا سيدي . لقد اخفاني حوار بوك لصحبتك بعد أن أقنعتهم بحكمة هذا المسلك .

ابن سينا — ولكن هذه مجازفة كبيرة وتعرض منك للخطر .

بثينة — لا تصغرنني يا سيدي بعد أن آمنت بك . وأنت بعقلك الكبير من يأبى تمييز الرجل على المرأة إذا ساوته عقلاً وكنابة .

ابن سينا — أحمد الله على أن تعالمني خلقت مثل هذه الفكرة ، ولو اني الليلة هارب طريد .

بثينة — سأرافقك يا سيدي كأختك ، وبذلك أدركك عنك الشبهات . فهل نبدأ رحلتنا .

(يبدأان بالسير فيـمعان لفظاً مقبلاً عليهما)

بثينة — (خافضة صوتها) هلم نختبئ في هذا الحقل حتى يبتعد هذان القادمان .

(يختبئان بينما يقبل شرطيان ويستمران في سيرهما متحدثين)

الشرطي الأول — لعلك اقتنعت بعد كل هذا البحث والسؤال والتقصي بأن ابن سينا لا يزال في كركانج ، ولا ادري لماذا كل هذا الاهتمام به وهو علم الناس انزال « الورقاء » من المحل الأرفع ؟ (يبتعد الصوت تدريجياً)

ها . ها . ها . ها . ها . ها .

الشرطي الثاني — لعلنا حينما نرجع نجد « الورقاء » الأخرى لا تزال ماسكة بتلابيب صاحبها حتى يثوب عن « ورقاء المحل الأرفع » !

الشرطيان — (يتهمان مآ وما أخذان في الابتعاد) : —

ها . ها . ها . ها . ها . ها .

[انتهت الدراماة]

حارس البستان

درامة في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

أشخاص الدراما

سيف الدولة الفارابي الشيخ مجاهد صاحب البستان		الشيخ حرقوش الشيخ صمتر قينة	{ ضريبان مرزقان
--	--	-----------------------------------	-----------------

المنظر الأول

(بستان فاكية في ضاحية لمدينة حلب بمهد سيف الدولة في القرن العاشر الميلادي ، والوقت غروب ، الحديث يبدأ بين ضريبان مرزقين لاجئين الى البستان) .

للشيخ صمتر (ضريبان مرزقي) - إحم . إحم . ما الذي تلوكة يا أستاذ ؟ ألم تعدني باطلاهي مقدماً على مشروماتك ؟

الشيخ حرقوش (ضريبان مرزقي) - إحم . - هذا يا ولدي فستق ، لا يصلح لك ! صمتر - فستق . وهل نسيت أنه مكروه للمسنين مثلك ؟ ثم هل نسيت أننا اتفقنا أمام الشيخ مجاهد صاحب البستان على الصراحة والتعاون ! ألا تخاف على بقية أسنانك وأنت شيخ مسن ! ألا .

حرقوش (مقاطعاً) - « مسن » أتكررها يا صمتر ولا تستحي وأنا ابن السبعين ؟ صمتر - (مقاطعاً) السبعين ؟ ألم تقل أمس الثمانين ؟ من يدوييني وأنا كيف انك لم تنجاوز المائة ، ومع ذلك تستحل نهب الفستق ؟ هذا فجور يا حرقوش ؟ هذا .

حرقوش - (مقاطعاً) فجور ! أكل الفستق وطيبات الله فجور !

صمتر - لا تؤاخذني فأني خائف عليك أكثر من خوفي على نصيبي . ألم تسمع عن كتاب (إيثار البندق على الفستق) لولي الله . لولي الله نسيت اسمه ! والمهم منه تحريم الفستق على الشيخ لضرره البالغ بهمضهم .

حرقوش — سمعت عنه يا ولدي ، لاني أنا مؤلفه فقد أملتته في صباي .

صعتر — مؤلفه

حرقوش — نعم يا ولدي . هذه إحدى زلات العباب كالغزل والنسيب ، لاني كنت وما زلت جدّ مولى بالفستق نخشيت مناقسة الشيوخ حينئذ . أما الآن فأود إملأ كتاب آخر بعد نجاريبي الطويلة التي أفنعتني بأن حرره لهضم يصيب من دون السبعين من الفتيان والأطفال .

صعتر — وما هو حدّ الطفولة عندك ؟

حرقوش — إحم .. بالنسبة للفستق الى الخامسة والأربعين ، وبالنسبة للاجاص الى الأربعين ، وبالنسبة الى التوت . (يسم لقط متحدثين مبلبلين)

صعتر (مقاطعاً) صه . فلسنا وحدنا . أتريد فضيحتنا من أجل فستق واجاص وتوت ؟ ألا نستحي أياها المتصابي من عهد نوح ؟

حرقوش — متصاب ؟ نوح ؟ أجننت من أكل التفاح يا ولد ؟ أجننت .

(تقترب الاصوات ووقع الاقدام)

صعتر — اخرس ، وهلمّ نتوار خلف هذه الشجيرات المتشابكة بميدن عن الطريق (مخففا صوته) حتى نسمع ولا نرى . فرمما كان هناك لبأ يهنا . اسمع يا حرقوش .

(يسمع المتكلمان المقربان بجلاء)

الفارابي — أيرضيك هذا التفسير يا صاحبي ؟

مجاهد — اجل يا سيدي ، وقد وجدت كتابك (آراء اهل المدينة الفاضلة) كله خيراً وبركة .

الفارابي — بارك الله فيك يا بني .

مجاهد — اني مدين لك يا معلم بتوجيهك تفكيري القاصر الى النظر في الله نفسه ، خلافاً للكندي الذي كان يقصر التفاتنا على الاهتمام بآثار الله غصب . وقد اطمان قلبي الى قوتك إنه لا شك في رجوع النفس الى الله ، وأن هناك أيضاً ترقياً في المراتب إذ أن النفوس الانسانية تنزع الى الفناء في العقل الذي فوقها ، وكذلك نفوس الآفلاك الاخرى حينما تقترب الى الله . وما أجهل تعليمك بأن النفس الانسانية إذا صعدت الى

العالم العلوي رأت أن هذه الحياة هي عين الحياة الأخرى لأن الله في كل شيء وهو الكل في وحدته (يأخذان في الابتعاد) أجل . قرت نفسي واطمأنت .

صمتر - أسمع يا حرقوش ؟ تب الى الله وارجع الى الحق . ودعك من اغتيال نصبي .
حرقوش - لا أعرف إذا كنا يتكلمان بالتركية أم بالرومية . وهأنذا راجع الى ما أفهمه وحده . إنني راجع الى النفس . . . تنق

المنظر الثاني

(في قصر سيف الدولة بحلب ، حيث اجتمعت زمرة من الادباء وأهل الفناء والموسيقى والشعراء والمفكرين بينهم أبو نضر الفارابي ، والوقت أصيل في اليوم التالي للمنظر الاول) .

سيف الدولة - ماذا أعددت للغناء يا فينة ؟

الفينة - أعددت يا مولاي قول الشاعر :

يا حجرة لم تزل	بمطيفة في الغمام
ملهوفة لا قبل	سميدة في الايام
السحب ناولها	ما خطبها ؟
لم أسمع قولها	ما حبها ؟
ما عشقها الباقي	طول الحياه ؟
ما نورها الساقى	كل الشفاء ؟

سيف الدولة - لعل شاعرنا يرمز بهذا الى « النفس » . وهذا يشوقني الى محادثة أبي نصر .

الفارابي - هذا شرف لي يا مولاي .

سيف الدولة - أوله صفة لله في نظر المتكلمين والطبيعيين هي أنه صانع حكيم ، لما هو الأساس عندك يا زعيم فلاسفة المنطق ؟

الفارابي - إن الله هو الموجود الواجب الوجود ؟ (أصوات استعسان من المجلس)

سيف الدولة - حسن . فإذا بذلك عليه ، بحثك أو تفكيرك في العلة الأولى ؟

الفارابي - إن العالم يا مولاي مظهر لآله حكيم عادل ، واحد في ذاته وصفاته ، مبدع ، بمعنى أنه علة لوجود الأشياء ، فهو يعطيها الوجود الأبدي ويدفع عنها المدم الأبدي ؟ أما تأثير الجزئيات بعد ذلك فهو ينشأ من فعل طبيعي ، يفعل بعضها في البعض

الآخر ، وذلك وفقاً لقوانين نعرفها من التجربة . وتأثير العلة الأولى في الوجود إنما هو تأثير واتصال كلي عام لا جزئي ، من حيث ما يجب أن يكون عليه من نظام وماله من غاية ، هذا التأثير العام خير لا شرف فيه ، لأن طبيعة العقول الثلاثة الأولى خير لا شر فيها . فالموجودات سلسلة متدرجة متصلة يسودها الخير المطلق ، وإذا كان هناك من شيء فردته إلى الجزئيات المتناهية المحددة القوى . (أصوات استعسان من المجلس)

سيف الدولة — هذا بديع يا أبا نصر ، فما رأيك في المعرفة الانسانية ؟

الفارابي — رأيي أن المعرفة الانسانية لا يحصلها الانسان باجتهاده ، بل هي تتجلى على الانسان في صورة هبة من العقل الفعّال الذي على ضوئه وضوء صورته المفارقة — لا على ضوء ادراك صور الأجسام بوساطة الحواس — يستطيع عقلمنا إدراك الصور الكلية للأجسام السابقة على رؤية الأشياء المادية المحسوسة وادراكها ، ولهذا كان الاحساس معرفة عقلية ، وكل مادي محسوس ليس مردّه إلى القوة المتخيلة والوجود الحقيقي ، بل مردّه إلى العقل وما يصوّره .

سيف الدولة — بديع . بديع . فما رأيك في الوزارة يا أبا نصر ؟

(منجّة من المجلس « الوزارة »)

الفارابي — هذه يا مولاي لا يفهمها عقلي القاصر المحصور في التأملات الفلسفية والآداب واللغة والموسيقى وما إليها . إن الوزارة لجوهر تعجز يدي عن لمسه ، وذهن عن ادراكه ، واجلالي مولاي عن قبوله . فما أنا إلا فكرة جائلة ، وخيال شرود ، وتأمل وائب ، ولحن ماله قرار . والوزارة هي نقيض كل هذه الخيالات والأوهام يا مولاي .

(منجّة من المجلس)

سيف الدولة — سأدعك تفكر بضعة أيام يا أبا نصر . أما الآن فبودي أن تخص بالتكريم . لقد أمتعنا قبلاً من موسيقاك المفرحة ما أطربنا أي اطراب فضحكنا وضحكنا ، وأمتعنا من الموسيقى المشجبة ما أبكنا ، فهل لك الآن في معجزة أخرى تفاجؤنا بها ؟

الفارابي — هذه أذن ارضى يا مولاي .

(تنوف موسيقى عذبة منومة ، فينام جميع من في المجلس ويسمع شخير أحدم)

الفارابي — (ساخراً) هذا بلاريب أحق الناس بالوزارة . والآن يمكنني أن أنقذ أغلاما يملكه انسان . يمكنني أن أفر بنفسني !

المنظر الثالث

(في بستان الشيخ مجاهد خارج حلب حيث كان المشهد الاول منذ يومين أما الوقت فغروب) .

الشيخ صمتر — يا سلام يا شيخ حرقوش ! إن عقلي طار أو كاد ! بينما كنت تصلي سمعت الشيخ مجاهد يحدث ذلك الرجل المعجيب الذي جاء للبستان منذ يومين ، ويسميه بكل إجلال « الفار » أو « الفارة » ؟

الشيخ حرقوش — « الفار » ؟ « الفارة » ؟

صمتر — إي والله يا زميلي ! والأعجب أنهما كانا يتكلمان كلاماً مبهماً أعجب مما سمعناه معاً ، وكله أحاج وألغاز . وعلى الرغم من ذاكرتي الجبارة التي تمتدحها فإنها لم تستطع أن تعي أكثر من جملة أو جملتين . قال ذلك الرجل المعجيب : « إن الأشياء تصدر عنه لكونه عالماً بذاته ، ولأنه هو مبدأ النظام الخير في الوجود على ما يجب أن يكون عليه . فإذن علمه آلة لوجود الغي الذي يعلمه ، وليست قدرته وإرادته » .

حرقوش — يا شيخ صمتر ! أحمد الله على حسن تفاهمنا بعد ما جرى منذ ليلتين ، فلا تقسده يا صاحبي بهذه الخزعبلات ! اتفقنا على تقسيم الفاكهة واختصاصي بالفستق ، فما معنى السخرية بي الآن وخلق نفور جديد ؟

صمتر — « نفور » يا شيخ حرقوش ، وليس بيننا الآن الا كل احترام ، ألم نقل إنك مؤلف كتاب (إيثار البندق على الفستق) .

حرقوش — وما شأن البندق والفستق بما قلته من الكلام السرياني ؟

صمتر — « سرياني » يا شيخ حرقوش ، هذا كلام عربي فصيح حسبت أنك كمؤلف أديب تستطيع حل رموزه . وما دمت تحسبه سريانياً فامنع العربي الأفصح . فان الشيخ مجاهد قال بصراحة لهذا « الفار » .

حرقوش — أي « فار » يا شيخ صمتر .

صمتر — يظهر أنك يا شيخ حرقوش في غير وعيك ، كل هذا الوقت وأنا أحدثك عن « الفار » المعجيب الذي يظهر أنه من خوارق الله سبحانه وتعالى والآن تسألني : أي فار . حرقوش — لا حول ولا قوة إلا بالله ، هذا ما كنت أخشاه . ألم أنصحك

بالتخفيف من أكل الاجاص ، ألم أقل لك إنه أنسب لي مثل الفستق تماماً .

صعتر — أي أجاص وفستق يا شيخ حرقوش ، حلمك واستمع الى مصيبتنا الكبيرة .

حرقوش — أي مصيبة ، لقد فقدتك والله ، رحمة الله عليك يا صعتر .

صعتر — اسمع ولا تقاطعني ، فالشيخ مجاهد اشتكى الى هذا « الفأر » الكبير الذي يعظمه من الاغارة على محصول الفاكهة واتهم .

حرقوش (مقاطعاً) — يا خبر أسود ، اتهمنا .

صعتر — نعم يا خبر أسود ، اتهم على ما أظن جماعات الفيران بالاغارة على محصول الفاكهة ، واستنتجت منه إنه قال له إنه يعتمد عليه كشيخ الفئران في رد غارتها، وأنه ...

حرقوش (مقاطعاً) — قلت لك إنك جننت ، فلا حول ولا . (يسمع وقع أقدام مقتربة)

صعتر (مقاطعاً في صوت منخفض) — هلم تنوار . ستسمع بأذنك . لقد سأله الفأر عنا ، ولكن الشيخ مجاهد أنكر أن تكون لنا صلة بهذه الاغارة على فاكهة البستان . وشهد لنا بأننا من أولياء الله الصالحين ، وأنه يزودنا بالكفاية من جيد الطعام كما نشتهي ، وأننا لو كننا حتى من فصيلة الثيران أو من البغال والحمر لكان من المستحيل أن نبتلع كل هذه الفاكهة .

حرقوش (في صوت منخفض) — وهل سمعت يا مغفل أن فئراناً تغير على بستان كما أغرنا نحن ، صه ، ها هما مقتربان .

مجاهد — هذا لا يليق يا معلمى ، فقد حضر منذ ساعة رسل الأمير يبحثون عنك لأن امرك يهمه وهو يحبك ويمجلك ويقدر مواهبك العالية اعظم تقدير ، ولا بد أنهم سيعودون الليلة او غداً ، لأنهم يفتشون عنك في كل مكان اعتدت ان تتردد عليه . فإذا يقال للناس ، ايقال لهم إن ابا نصر الفارابي فيلسوف زمنه وامام الموسيقى هرب من الوزارة طالباً ان يعمل ناطوراً في بستان كهذا .

الفارابي — هذا فضل كبير منك يا اخى لو سمحت به لاتفرغ لعبادة الله ، متأملاً في ذاته العلية ، كما يتأمل كل ناطور .

(قطعة موسيقية ملائمة في النهاية مشعرة بفرحة الطبيعة)

غزوة الجزيرة

درامة في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

أشخاص الدراما

موسى بن نصير ، الفاتح العربي	فاضل بن مسروق
لذريق ، ملك القوط	حاضر بن مشنوق
جوليان ، حاكم سبتة	طريف بن مالك ، القائد
فلورينده ، بنت جوليان	حاجب لذريق

جندي

المنظر الاول

(في قصر جوليان صاحب سبتة مساء يوم ربيعي من السنة الحادية والتسعين للهجرة = ٧١٠ م.)

فاضل بن مسروق — عجيب والله . عجيب والله . عجيب .

حاضر بن مشنوق (مقاطعاً) — أتسبح الله يا ابن مسروق .

فاضل — عجيب والله . عجيب والله . عجيب .

حاضر — (مقاطعاً) أهلك مس يا ابن عمي .

فاضل — نعم . نعم . فولانا لاحظ أو قال إن لقي شارة الخير ، ويدعي أنني أنا « ابن مسروق » جلبت له الحظ والبركة .

حاضر (مقاطعاً ، متهمكاً) — أنعم بك وأكرم .

فاضل — لا تنكم يا صاحبي علي . فقد ذكر مولانا أنك أن لقبك يا « ابن مشنوق » قال الحياة .

(يضحك مماً ضحكة أنفية مكبوتة)

حامر — سبهجان المغيّر الذي لا يتغير . كنت أهرم بتشاؤم مولاي من لقي .
سبهجان إذن .

فاضل (مقاطماً) — عمرك الله . لا تتعجل الفرحة يا رفيقي .

حامر (جازعاً) — ماذا وراءك يا ابن مسروق .

فاضل (منبطاً) — لا تسألوا عن أشياء إن تب .

حامر (مدهوراً) — يا فاضل يا ابن مسروق . حذار . حذار . أنظر يدي . سأخنقك
إن لم تقصح .

(تسمع حركة مجرم حامر على فاضل ، مناغاة بيديه على عنقه)

فاضل (بصوت مختنق) — آخ . خ . ستخنقني بأحق . انتظر — سأخبرك .

حامر (متلهفاً) — تكلم إذن قبل أن تخرس الى الأبد .

فاضل (منهوكاً) — آه — اسمع يا ابن عمي ، ما أريد لك إلاّ الخير ولم أشأ أن أجعلك .

حامر (مقاطماً ، ملهوكاً) — تفجعمني تفجعمني أفصح يا أزعز قبل أن أهوي عليك بيدي .

افصح . افصح .

فاضل (خائفاً ، متشرّافاً كلامه) — آخ . استمع ولا تقاطع حديثي ، وسأبلغك كل

شيء . آخ .

عيب يا ابن مشنوق . آخ .

(مناسكا يتحدث ببطء وضعف) — صدقني يا ابن عمي . إن مولانا يحسن الظن بك

ويتفاهل . ولكن . ولكن .

حامر (مقاطماً) — اسمع انت يا ابن عمي إن مولانا في الواقع لثقتك البالغة بك رأي

البركة ارسالك الى ميدان القتال في...

فاضل (مدهوراً متلهفاً) — القتال ل . أنا أنا . القتال ل .

حامر (مقاطماً مسترداً قوته) — نعم ، نعم . فامنع ولا تقاطعني . وستبين صداقتي الحقة لك .

إن مولانا الأمير أعزه الله ونصره رأي بشاقب تفكيره وبعد نظره أن تكون أحد الخساسة

المختارين لغزو جنوب الأندلس تحت إمرة طريف بن مالك !

فاضل (خائفاً هائجاً) — أنا يا ابن مشنوق . لعنة الله عليك . ألم تعتذر عني لمولاي
بأنني عليل تيمنتني رؤية السيف مجرداً بلبه القتال . ثم إن مولاي الأمير لم يحدثنني عن ذلك .
ومن يدري أن هذا ليس تأمراً منك . اعترف يا خبيث . اعترف !
حامر (خفياً من هياج صاحبه) — آخ . استمع يا غبي ما دمت تريد الحقيقة
كاملة . استمع .

فاضل (قللاً) أسرع اذن بالكلام ولا تخرج صدري .
حامر — لقد استشار الأمير الخليفة فاذن له بالغزو . أما المحرّض الأول على هذا الغزو
فصاحب هذا القصر جوليان .
فاضل (مقاطعاً) — جوليان .

حامر — أجل جوليان . وكان لا بدّ من اختيار نخبة من الفرسان الأشاوس ، فكنت
أحد المختارين بل في طليعتهم .
فاضل (دمثاً) — أحد الأشاوس المختارين يا لله . لقد جبن العالم . أنا الذي أفرق
لرؤية المهتد ولم أعرف صهوات الجياد . أنا الذي أغشى علي يوم هاج جواد الأمير .
أنا الذي .

(يسمع صوت أقدام وبعض اللفظ مقترين)

حامر (مقاطعاً بصوت منخفض) — حاذر يا مثرثر . هاهو الأمير قادم . هلمّ بنا الى غير
هذا المكان فإن بصحبته أحداً ، وقد تتمكن من استراق السمع .
(تقترب الاصوات)

الأمير موسى بن نصير — نعم إني راض عنك يا جوليان ، وإني مسؤول الآن
عن حمايتك بعد أن صرت تابعاً لي تدفع الجزيرة التي ارتضيتها . ثم اني سأتولى غسل العار
وسأقضي على لدريق عقاباً عادلاً لاخطأه ابنتك الحسناء وسترى فلورينده ثانية بمد
أن تقتصر نهائياً في حربنا التي أجازها أمير المؤمنين .

جوليان — شكراً ، شكراً يا مولاي . كنت أصبح كفيفاً من بكائي على فراق
ابنتي المحبوبة التي أود لو أفديها بنفسى . شكراً يا مولاي . وإن النار لثاران ، فاني
صهر لاولاد غطشة الدين كان والدم ملسكاً لاسبانيا قبل لدريق فاغتصب هذا اللعين

املاك ايهم كما اغتصب اخيراً فلورينده .

الأمير موسى — هدى روحك يا جوليان . فالعدل سوف ينتصر . العدل كسول ، وأحياناً خجول ولكنه لا يفر من الميدان . سنبداً بطليعة قليلة ، ولكن لها ما بعدها ، فكن صبوراً ، وان تكن صداقة الصبر كالصبر ، ولكنها صداقة لا تخيب حلوة العاقبة . ولقد انتقيت يا جوليان رجالي وأعددت مراكي الى جانب مراكبك ، وجميعهم من الأبطال الأشاوس .

طمر (بصوت خافت بعيد) — يا الله . أنا من الأبطال الأشاوس .

جوليان — إنك تعمل على احقاق الحق حين تعمل يا مولاي على انقاذ شرفي . أطال الله عمرك وجملك دائماً منارة البائسين .

الأمير موسى — ستكون هذه الحملة مثالية في حسن التنسيق والاختيار . وفي البداية لم أبخل عليها حتى بتابعي فاضل الذي أومن ببسالته .

فاضل (دمثاً ، بصوت منخفض بعيد) — بساقي . أعوذ بالله .

الأمير موسى (متابهاً كلامه) — اما الآن فقد استخضرت الله وسأرسل في الطليعة ايضاً تابعي الآخر طمر بن مشنوق .

طمر (مذهوراً مفاجاً ، بصوت منخفض بعيد) — خبر اسود يا ابن مسروق .

المنظر الثاني

(في غرفة الجلوس الخاصة بقصر لدريق ملك القوط في مدينة طليطلة ، وقد جلس مساءً يحدث فلوريندة ابنة جوليان) .

لدريق — ايظل النفور معنى لبغضك ام ترى رمز حبك المستور

انظري قلبي المناجى لقلبك تطمئني ، وتصفحي عن شموري

فلوريندة (حائرة) — اي صفح ترجو وأنت الذي يمرح في الغدر ساخراً بالوجود ؟

إنما التوب وحده يشمل الصفح فتب ، فالدمار عقبي العنيد !

لدريق — هذا ابوك يا فلوريندة فتم ابواب سبته للبرابرة العرب الكافرين ، ولا يبعد ان يحرضهم علي ، وهذا ما لا يفعله الكريم مهما تكن الدوافع ، دالسا على

الكرامة الدينية والكرامة الوطنية معاً . واذن لم اكن غاشماً في مسلحي إذ منعتك من العودة اليه . فأنت شمس في قصري ، بل في مماء طليطلة واي جدوى لك من العودة إلى جو الصغار والدسائس والحرب .

فلوريندة - حظي أن أعود إلى أهلي ، فاجئت الى بلاط طليطلة إلا متنفقة ، فلم أغنم الا تضییع شرفي والغدر بي وبأهلي . أرجمني إليهم وتب الى الله يا قادر .
لذريق (مقاطعة) - لا أود أن أغاظ لك القول يا فلوريندة ، فلا تحرجيني .

فلوريندة - وماذا في إغلاظك القول بعد إغلاظك العمل ؟ أما العرب الذين تهتهم بالبرية والكفر فقد سمعت أنهم أهل إيمان وحماة أعراض . فأين أنت منهم ؟ أين أنت .
لذريق (مقاطعة) - إخرسي يا امرأة .

فلوريندة - حسناً اظهر بثوبك الحقيقي . اظهر بثوب الأرقم .

(يسمع صوت بوق منذر)

لذريق - رباه ما هذا . (يسمع وقع أقدام مقبلة) إنك لشؤم علي . ومع ذلك أظل متعلقاً بك .

(يدخل حاجب لذريق)

الحاجب - عفواً يا مولاي . بالباب رسول يقول إن العرب أفلحوا على منطقة « الجزيرة » ودحروا حاميتها .
لذريق (مذموراً) - يا رباه .

المنظر الثالث

(على رابية في منطقة « الجزيرة » بطرف الاندلس ، وقد انتظم الجنود العرب صياحاً ومهم الاسرى والغنائم منتظرين نعمة قائم طريف بن مالك قبل عودتهم الى مراكزهم قائلين الى شمال افريقية) .

حامر بن مشنوق - لملك مسرور الخطر يا ابن مسروق بعد أن أطار ذلك العليج اصبعين من يدي اليسرى .

فاضل بن مسروق - لم تكن منهما فائدة ، وقد شال وزنك الى أسفل .

طامر - وكيف سأقابل الأمير بعد أن قضم العالج الآخر أذني اليميري وهو يتظاهر بأنه جريح .

فاضل - وما الذي سأقوله أنا المولانا بل كيف سأقابه بهذا الجرح الفائر في رأمي وبعضة تلك المرأة المولولة البدينة لدراعي ، ولا عضه لبؤة .

طامر - الحق عليك يا ابن مشنوق ، إذ كان عليك أن تجندها .

فاضل - لا تنس يا ابن ممي أننا كنا وما زلنا عرباً ، نحرص على أخلاقنا قبل الحرص على أعضائنا وأرواحنا .

(تسمع جلبة الجنود لقدم قائم طريف بن مالك يخطبهم)

طريف بن مالك - السلام عليكم ورحمة الله (يرد الجنود بالتحية)

أيها الجنود . أهنتكم بنجاح هذه الغزوة المباركة التي هي مقدمة لحملة كبرى ، لا ريب فيها ، لنصرة الحق ودين الله . وسيسر مولانا الأمير حينما يبلغه أن خسائرننا طفيفة ، ولكنه سيسر أكثر حينما يعلم أننا بسبب قلة عددنا ووعورة المنطقة كدنا نطوق وبلقي بنا إلى البحر ، لولا البسالة الخارقة ، والتصرف الحازم المعجيب ، والقذوة الحسنة التي قام بها بطل منكم كان يحارب بمنة ويسرة كاللارد الجبار شاة الطريق لكم وكأنما نسي نفسه وهول الموقف ؛ وكدت أطير اليه إشفاقاً وخوفاً على حياته . ذلك ما قام به بطلنا الأشوس الفذ طامر بن مشنوق .

(ضجة من الجنود)

أين هو (يسمع غطيطة وغطيط زميله وقد غلب عليها الأعياء)

جندي - انه يغط في نومه اعياء يا مولاي .

طريف بن مالك - وليس بينكم إلا جندي واحد يستحق اللوم بل التعنيف الشديد .

(ضجة من الجنود)

نعم . فقد تهوّر في البسالة حتى كاد يستشهد عمداً ، وكأنما كان يعاند القدر . ذلك هو فاضل بن مسروق بطلنا الأعظم .

أين هو (يسمع الغطيطة مرة أخرى)

جندي - انه يغط في نومه اعياء يا مولاي .

[ختام الدراما على صوت هدير البحر وموسيقى ملائمة]

أبو دلف الخزر جي

درامة في فصل ذي ثلاثة مناظر

شخصيات الدراما

نصر بن أحمد الأمير الساماني		وانج كوسنج - حاكم كانتون (في الصين)
أبو دلف الخزر جي		تشانج تشنج وو - رسام صيني
عبد الباسط - تابع أبي دلف		وانج جي لي - ابنة حاكم كانتون

المنظر الأول

(في ميناء كانتون على نهر سيجان قبيل الغروب في يوم من نيسان سنة ٩٤٢ م)

عبد الباسط (خائفاً) - تمساح ، والله . تمساح .

أبو دلف (متعجباً) - أين؟ أين .

عبد الباسط - هناك . هناك . الى اليمين .

أبو دلف - لا أرى شيئاً . ولم أسمع عن تمساح في هذه المياه .

عبد الباسط (ملهوفاً) - تأمل يا أبا دلف ! صدقتي . تأمل . هناك لا هنا .

أبو دلف - هذا دوار البحر يا عبد الباسط .

عبد الباسط (خائفاً) - هذا رأسه يظهر ويختفي . وهذه يده ممسكة بمود . وما هو

برمقي بعينين فاربتين كأن ييني وبينه ثأراً !

أبو دلف - يا عبد الباسط . لا بد أنك محموم . هذا هذيان يا صاحبي . من قال

إن تمساحاً يجلس في دكان لترويع المسافرين ، التماسيح تعيش في الماء يا صاحبي ونحن على اليابسة .

عبد الباسط - ها هو . ها هو . وهو يشير إلى بالوقوف . هذه - لا ريب -

بلاد المعائب . هذا تمساح بري بلا شك .

أبو دلف - لا حول ولا قوة إلا بالله . سأسأل عن يمارستان المدينة لآترك فيه

حتى تثوب الى رشذك .

عبد الباسط - لولا عنادك يا ابا دلف لرأيتك رأي العيان . انظر . انظر . ها هو يغير إليك . إنه امامك مباشرة .

ابو دلف - إننا لم نخط خطوة واحدة منذ تركنا المراكب وشغلتنا بهذا التمساح الخرافي . وإذا لم تقلع عن هذا الهذيان فليس أمامي إلا أحد امرين : إما العودة الى المراكب او حبسك في بيارستان .

عبد الباسط - بيارستان يا ابا دلف . اهذا جزائي لتحذيري اياك . ورأس مولانا الأمير رأيتك ينظر إليك بعينين تتكادان تأكلاك . انا لا اخاف على نفسي بل خوفي عليك . فأنت تبض باللحم والشحم ، ولا بد أنه بادىء بك . وقد يتختم فيمنصرف عني ابو دلف - لا حول ولا قوة إلا بالله هلم بنا يا رجل .

عبد الباسط - انظر . انظر ها هو يشرب إلينا .

ابو دلف - من يا مجنون . هذا . هذا رجل مثلي ومثلك . هو صيني عجوز لا اكثر ولا اقل . فأني شبه بين وجهه ووجه التمساح . ومتى كانت للتامسيح ضفائر . ومتى كانت تنزياً بملابس . ومتى كانت توظف في الحوانيت . لا حول ولا قوة إلا بالله .

ثب إلى رشذك يا عبد الباسط ولا تجعلنا اضحوة بين اهل هذه البلاد الغريبة التي تجهل لغتها وعاداتها . ثم اين الخرجان يا عبد الباسط .

عبد الباسط - (دمثا) الخرجان .

ابو دلف - نعم . الخرجان . هل فقدت متاعنا في اثناء هذرك عن التمساح .

عبد الباسط - (وجلا) الخرجان . اي والله لقد سرقا .

ابو دلف - إذن الويل لك ولي ، ففيهما كل ما نملك ، وستخيب مهمتنا ، وسترجع بأسوأ من خفي حنين ، وإن شاء الله سوف يقطع رأسك ورأسي .

عبد الباسط (مضطرباً صائحا) الخرجان يا مؤمنون . الخرجان . الخرجان

ابو دلف - إخرس يا أبله ولا تجمع الناس حولنا . لا مؤمنون هنا ولا عرب ولا بد من اللجوء الى الحاكم لانقاذنا .

عبد الباسط - الحاكم . الحاكم .

أبو دلف - أجل . الحاكم وإلا أكلنا الناس قبل التامسيح .

المنظر الثاني

للذئب : في مصر وانج كوسنج حاكم كانثون بمساء ذلك اليوم وقد هرع إليه أبو دلف وتابعه عبد الباسط لاطاعتها بعد أن فقدوا متاعهما . وجلس الحاكم والى جواره ابنته وانج لي لي يستقبلان الزائرين .
الذئب : يسير أبو دلف وبصحبة عبد الباسط في الردهة متجهين الى حجرة الحاكم للفتوحة الباب أمامهما فيعثر عبد الباسط في بساط الردهة .

أبو دلف - (بصوت خافت) ماذا أصابك يا رجل . أزمع فضيحتنا مرة أخرى .

عبد الباسط (بصوت خافت) ألم تر ما حدث .

أبو دلف (بصوت خافت) - ماذا . أتمساح آخر .

عبد الباسط (بصوت خافت) - ألم تر الجندي بهز قبضتي يديه معاً نحونا .

أبو دلف (بصوت خافت) - وماذا في ذلك .

عبد الباسط (بصوت خافت) - هذا والله نذير شؤم ، فهو تهديد صريح .

أبو دلف (بصوت خافت) - أي تهديد يا مجنون والجندي يحبك .

عبد الباسط (بصوت خافت) يحبيني . سبحان الله .

أبو دلف (بصوت خافت) - نعم ، فهذه هي التحية العينية ، وكان عليك أن تحميه بعنقها .

والآن صه فها نحن في حضرة الحاكم وسيدة معه ، ولتكن رابط الجأش .

(يتقدمان نحو الحاكم)

أبو دلف - سلام على سيدنا الحاكم .

عبد الباسط - . . . سلام !

وانج كوسنج - وعليكما السلام .

أبو دلف (بصوت خافت مخاطباً عبد الباسط) - لا تقضهني يا رجل .

وانج كوسنج - يظهر ان زميلك متعب ، فاجلسا .

أبو دلف - حقيقة يا سيدي هو متعب ذهنيًا .

عبد الباسط (مرتاباً بصوت خافت) - ذهنيًا يا أبا دلف . أتريد إدخالاً البيمارستان .

اصمتت على الغدر بي .

أبو دلف - هو متعب ذهنيًا وقد أكون مثله ، فقد فقدنا خرجينا وفيهما كل ما نملك
وانج كوسنج - اما عن خرجيكما فهما بأمان عندي وستسلماتهما ، وقد نسيتهما ،
واما عن زيارتكما آياتنا فأتنا نرحب بهما ، فاذا وراءكما .

أبو دلف - (شكرًا يا سيدي) إني مكاف من قبل سيدي الأمير الساماني نصر بن أحمد
رفع شكره على ارسال أميركم بعثته لخطبة قريبته ابنة أمير بخارى .

وانج كوسنج - اهلاً بكم وسهلاً . دعاني أقدمكما إلى ابنتي وانج مي لي .
وانج مي لي - اهلاً بكما . أأنتما من العرب .
أبو دلف - اجل يا سيدي .

وانج مي لي - إن زميلك الشاب وسيم الطلعة . فهل هذا طابع شبابكم . لقد رسمكما في
المرفأ أحد مصورينا ومعى صورتكما هذه وقد كنتما في غفلة عنه .

عبد الباسط - يا سلام إحم إحم كلا يا مولائي . إحم . إني أعد مثلاً نادراً وكان
المرحوم والذي يقول :

أبو دلف - لا تؤاخذيه يا مولائي . فانه ما يزال مصاباً ببعض الدوار .

عبد الباسط (بصوت خافت) دوار يا غيور . اجننت .

أبو دلف - إن أم ما يوصف به شباب العرب فروسينهم ، وشهامتهم ، وكرمهم ،
ونحن جميعاً قوم بقول رسولنا الكريم « اطلبوا العلم ولو في الصين » ولذلك جئنا إليكم
مستفيدين . واما زميلي فسحته مألوفة ، واصلاح منها واجل طلعة خيلنا وبقرنا .

عبد الباسط (مذهولاً) - خيلنا وبقرنا . استغفر الله من ذنوبي . خيلنا
وبقرنا . خيلنا .

المنظر الثالث

المدحج : في قصر الأمير الساماني نصر بن أحمد بمدينة بخارى في شتاء يوم من سنة ٩٤٢ هـ . وقد عاد
من السفر بعد انجاز مهمته في الصين أبو دلف الخزرجي يصعبه تابعه عبد الباسط .

الأمير نصر - لا تتوقف يا أبا دلف إن قصيدتك رائعة .

أبو دلف (مبتكلاً انشاده) - :

ومن كان من الأحرار يسأل سألوه الحر ولا سباً في الغربة أودى أكثر العمر
 وشاهدت أجاجيباً وألواناً من الدهر فطابت بالنوى نفسي على الإمساك والفطر
 على أني من القوم البهاليل بني الغر فنعن الناس كل الناس في البر وفي البحر
 أخذنا جزية الخلق من (الصين) إلى (مصر) إلى طنجة ، بل في كل أرض خيلنا تسري
 إذا ضاق بنا قطر نزل عنه إلى قطر لنا الدنيا بما فيها من الاسلام والكفر
 فنصطاف على الثلج ونشتو بلد الثمر

الأمير نصر - أحسنت يا أبا دلف . هذه هي الروح العربية الوثابة التي جابت الأفطار
 وفتحتها مستفيدة ومفيدة ، رفعت لواء العلم والحضارة . وهذه هي تعاليم الاسلام
 الحكمة التي تدعونا الى التنقيش في مناكب الأرض ، ونحشنا على الهجرة والكفاح في
 طلب الرزق والمنعة والسودد ، مع البر دائماً بالوطن الاول . فنعم اقدامكم أيها الرحالة .
 إنكم لتحسنون إلى ممة العرب طامة ، على غير حال القابمين الخائفين . وإني لفخور بك
 يا أبا دلف ، وأهني نفسي إذا هنؤك بنجاح مهمتك :

أبو دلف - مدح مولاي من نبع يخص به فنه أسمى رحيقي حين أسقيه
 الله خص به ما عز من خلق والله للنبيل محبيه ومبقيه .

الأمير نصر - والآل يا أبا دلف حدثني أكثر عن الغرائب التي رأيتها في الصين ،
 فحدثك شائق مفيد .

أبو دلف - منذ اللحظة الأولى انزلنا إلى البر واجهنا الغرائب يا مولاي . وبينما
 كان عبد الباسط مشغولاً بأوهامه عن تمساح في حانوت .

الأمير نصر (مقاطاً متعجباً) - تمساح في حانوت .

عبد الباسط - اي والله يا مولاي .

أبو دلف - لا تحلف يا رجل .

أبو دلف (متابعاً) - بينما كان عبد الباسط مشغولاً بأوهامه وقد ألقينا خرجينا .

عبد الباسط (مقاطاً) - وجدناها يا مولاي .

أبو دلف - لا تقاطعني يا رجل ، وتأدب في حضرة الأمير .

عبد الباسط - العفو يا مولاي .

الأمير نصر - استمر يا أبا دلف غير مقاطع .

أبو دلف - بينما كان هذا الغني يولول على لاشيء ، مخلوع القلب لرؤية عجوز صيني في حانوت بالمرقأ ، حاسبه تمساحاً ربباً من نوع لم تعرفه الاوائل ولا الاواخر ، كان ذلك الصبي مكلفاً من قبل الحكومة برسمنا على لوحة من الخشب لاننا غريبان وبهم الحكومة أن تنعقب كل غريب في البلاد ، محتفظة برمحه لدى الحاكم . وفي الوقت ذاته تمكن شرطى من أخذ خرجياً بخفة عجيبة دون أن نراه حتى يفحصهما الحاكم ، ليتأكد من أننا لسنا من العيون والجواسيس . كل هذا جرى ونحن لا ندري ، بفضل الجلبة التي أثارها عبد الباسط وكاد يضحك الناس منا .

الأمير نصر - ها . ها . ها . هذه قصة طريفة .

أبو دلف - ولم يكتف بذلك يا مولاي ، بل شاء أن يغازل بنت الحاكم لجرد أنها جاءتنا بكلمة لطيفة . ودعينا الى الطعام فحاول أن يقلد الصينيين أكل الارز بمودين فـا أكل أرزة واحدة ، وبدل ذلك نثر الارز في عيون الضيوف فلكم أحدكم . ولم يكفه كل هذا فأراد أن يتنكر في زي صيني ليختفي عني ويداعب بنات كانتون ، ولكن سرعان ما كشفت أمره .

عبد الباسط - اتق الله يا رجل .

الأمير نصر - ها . ها . ها . لا ريب انه كان نعم النديم لك .

أبو دلف - والادهى من كل هذا انه مع مني عن اوائك العيارين المستهترين والشطار المحتالين الذين يطوفون الاقاليم ويتفننون في اختراع الحيل للحصول على المال ، فتظاهر بمثل هذه البراعة في رهط من اثرياء الصينيين ، مدعيًا انه يستطيع ان يأكل بيضة كاملة بقشرتها دفعة واحدة فتمسحيل إلى فروج يخرج سليماً من انقه .

الأمير نصر - ها . ها . ها . عدنا إلى عصر المعجزات .

أبو دلف - ولست ادري يا مولاي كيف توهم ان حيلته يمكن ان تنطلي على اولئك القوم . ولكني ادركته فاقد الوعي معصفراً بالبيض الذي ضرب به ام رأسه ، وقد وجد في جيبه فروج ميت .

الأمير نصر - ها . ها . ها . يا ليتني كنت بصحبتكما .

أبو دلف - لقد اتسمت أن أبلغ مولاي الأمير كل ماجرى على علاته ، لا شاكياً ولا متجنياً . أما أعجب ما صنعه عبد الباسط ، وقد زاد به الطين بلة - كما يقال - فهو أنه .

عبد الباسط (ملثماً صارخاً) - التمساح . التمساح . هذا هو .

الأمير نصر - ماذا جرى ، ادرك الرجل . لقد أغشى عليه .

(يسمع صوت سقوطه ، ووقع اقدام مقربة)

عبد الباسط (بصوت خافت) - التماسح .

أبو دلف - هذا وهم تمكن من نفسه ولم أستطع يا مولاي أن أقتلعه . وهذا هو الرسام الصيني الذي حدثت مولاي عنه قادم ، فارتاع عبد الباسط لرؤيته وعاودته ذكرى التماسح الخرافي . ولست ادري لماذا يحضر تشانج تشنج وو متجشماً مشقة السفر .

الأمير نصر - اترك زميلك رافداً حتى يفيق ، سنرى ما هو امر هذا الزائر .

تشانج تشنج وو - السلام على الأمير المعظم .

الأمير نصر - وهليك السلام . خذ مكانك على الرحب والسعة .

تشانج تشنج وو - إن مولاي حاكم كانتون اوفدني بهذه الهدية إلى معموكم (يناوله إياها) إنها رسم هذا السيد وزميله عندما نزلا بحرماً كانتون ، وقد صورتها على هذه اللوحة الخشبية وأمر مولاي ان اضع نفسي تحت تصرف معموكم إذا ما اعجبكم هذا الفن ، و اردتم ان اخدم معموكم ، وقد زودني بهذه الرسالة الرسمية اليكم (يناوله إياها)

الأمير نصر - إن هذا اللطف عظيم وتفضل من سيدك ، وسأكتب إليه شاكراً واما الهدية ذاتها فتحفة شائقة سأعز بها ، وسأستبقيكم مكرماً لتفارس فنك بيننا ولتعلم مواطنينا الصالحين له

إن ديفنا الحنيف كما يدعو الى السلوك القويم والتقوى - يدعو الى الاستمتاع بطيبات الحياة والى تقدير الجمال والتعلق به وفنك أيها الضيف العزيز هو من الوان الجمال المهنذ انه لفن رفيع ، والاسلام نصير لجميع الفنون الرفيعة ، كما انه نصير لجميع المثل العليا ، فأهلاً بك ومرحباً

تشانج تشنج وو - دام مجدك يا سيدي

الأمير نصر - لاريب ان عبد الباسط عند ما يثوب الى رشده سيسر من رؤية صورته معك على هذه اللوحة المتقنة ، كما سيبتهج لهذا اللقاء الذي لم يكن يفتظره كيف حاله الآن يا ابا دلف (يذهب اليه ابو دلف ليفحصه)

(موجها خطابه الى تشانج تشنج وو) عاد عبد الباسط معتل الصحة من مشقة السفر ، وتصيبه احياناً نوبات اغماء ، ولكن لا خطر عليه ولا ريب انه سيبتهج لرؤيتك

أبو دلف - اخذ يستعيد وعيه يا مولاي ها هو يفتح عينيه ويتأمل

عبد الباسط (صارخاً ملثماً وقد شاهد تشانج تشنج وو جالسا امامه) - التماسح التماسح !

سلام الترجمان

درامة في فصل ذي ثلاثة مناظر

شخصيات الدراما:

الغضنفر - كبير الأدلاء
ملك الخزر
جارية السمكة

الوائق بالله - الخليفة العباسي
سلام الترجمان
ابن حرب - كاتم سرّ

المنظر الاول

في قصر الواثق بالله بمدينة « سر من رأى - Samarra » مساء يوم صيفي من سنة ٨١٤ م . وقد
جلس هذا الخليفة العباسي يضرب على العود وينشد ، وفي حضرة سلام الترجمان وابن حرب .

الخليفة الواثق (ينشد على توقيع العود) : —

هل تعلمين وراء الحب منزلة تدني إليك فان الحب أقصاني .
هذا كتاب فتى طالت بليته يقول يا مشتكى بني وأحزاني
(ثم يتوقف عن الانشاد ويضع العود)

ما رأيك في هذا الصوت يا سلام . أظنه يكمل المائة التي صنعتها .
سلام — آية في الجمال يا مولاي .

الخليفة الواثق — ولكنني لم أدعك ثم ابن حرب لاجل هذا يا سلام ، بل لاسر
جدّ خطير .

سلام وابن حرب — خيراً ، إن شاء الله .

الخليفة الواثق — سأوفدك يا سلام في مهمة جليلة ، على أن يكون ابن حرب
كاتم سرّك .

سلام — كاتم سري يا مولاي . لا أعرف أحداً فضحتني مثل ابن حرب ، بل لا أعرف

أحدًا تفنن في اختراع الفضائح لي وتزويد امرأتي بها مثله ، وكل دالته يا مولاي
أنها قريبتة .

ها ها ها ها

الخليفة الواصل - وما دفاعك عن نفسك يا ابن حرب ؟

ابن حرب - حاولت إصلاحه يا مولاي لخبره وخير عيلته .

سلام (محتجاً مقاطعاً) - إصلاحي . هل انقلبت الأوضاع ؟

ابن حرب - وجدته يا مولاي في زقاق الأعرج مخموراً وقد أبقظ الفاس بصياحه

فصببت امرأة من شباك ماء على رأسه .

سلام (محتجاً مقاطعاً) - سبحان الله سبحان الله

الخليفة الواصل - ها ها ها ما شاء الله . أنعم باماننا الواعظ .

ابن حرب - ألتبس من مولاي أن لا يصغى إليه . إنه يهذي .

الخليفة الواصل - لا جناح عليه ولا عليك إذا أعلنت التوبة . أكل حديثك

يا ابن حرب .

ابن حرب - فلما أدركته يا مولاي تشبث بملابسي فسقطنا معاً في الوحل . ولما

سألته عن حاله قال إنه كان يصلي الفجر ، وأن ملابسه ابتلت من كثرة الوضوء .

الخليفة الواصل - (مقاطعاً) ها ها ها لعله كان يتوضأ فوق ملابسه .

ها ها ها ها

ابن حرب . . وسرت به نحو منزله وهو أبتزخ ويسب إمام المسجد ، فإذا إمام

المسجد المزعوم هو صاحب الخمار التي مررنا بها في طريقنا .

الخليفة الواصل (مقاطعاً) - ها ها ها تبارك الله تعالى

ابن حرب - فلما سألت صاحب الخمار عما حدث ، قال إنه نهاه عن الاسراف في

الشرب فلم يرتدع ، وتمادى فأصر على أن يؤي جميع الحاضرين صلاة الفجر في الخمار

متوضئين بالخر ، وأن يكون هو إمامهم ، وأخذ يصيح بالدعوة الى تقوى الله

ها ها ها ها

الخليفة الواصل (مقاطعاً ، متبكهاً) - نعمت التقوى

ابن حرب - وأخيراً اعترف صاحب الحجارة بأنه اضطر الى ان يلقي به ويعرّيد آخر
ادعى انه من اولياء الله الصالحين خارج الحجارة

الخليفة الواصل (مقاطعاً) - ها ها ها لقد كنت انسى المهمة الخطيرة التي
دعوتكما لها ، ولكنني اريد قبل التحدث عنها ان اسألك يا ابن حرب ماذا كنت تصنع
في زقاق الأعرج عند الفجر ، وعليك ان تصدقني القول وقد امنتكما

ابن حرب - كنت يا مولاي قادمًا من خماره اخرى

الخليفة الواصل (مقاطعاً) - ها ها ها

ابن حرب - ولكنني يا مولاي لم اكن مخموراً مثله ، ولو ان امرأتني رفضت إدخالني
البيت بعد ان تطلعت في وجهي وزعمت اني شخص آخر

الخليفة الواصل - ها ها ها احرام ان ارديكما بعد ان امنتكما ، فلا أدع ذلك
لازمن ، والآن أنصتاً جيداً الى ما عندي

لقد رأيت في المنام ان السد الذي بناه الاسكندر ذو القرنين مفتوح ، وهذا السد
كما تعلمان واقع بين ديار المسلمين وديار يأجوج ومأجوج ، فاستيقظت مذعوراً وبعد
التروي ارسلت في طلبكما الليلة وقد اعترفت ان ابنت بك يا سلام ، يعاونك ابن حرب ،
لتفقد هذا السد

سلام - سيجدني مولاي عند حسن ظنه بي دائماً .

ابن حرب (وجلاً) - يا مولاي . إذا كنت مأكولاً فكيف أنت آكلي . وهل
رضيك أن تتركني تحت رحمة سلام وبنفسه ما بها ضدي . لا ريب عندي انه سيبارك
أمة يأجوج ومأجوج إذا ما قطعوني إرباً وإرباً وأكلوني . ومن يدري فقد يستمرىء
طعم الحى .

سلام - والعياذ بالله .

الخليفة الواصل - ها ها ها انى أعهد فيك الشجاعة دائماً يا ابن حرب .

سلام - وأنا كذلك .

ابن حرب - أسمعت يا مولاي انه فرحان لهذه المصيبة التي تنتظرني . أما الشجاعة .
الشجاعة يا مولاي قد تمازلت عنها عندما حطمت امرأتني الابريق فوق رأسي في تلك

الليلة المباركة - ليلة القدر .

الخليفة الوائق - ها اها اها لا رب أنها كانت لك خيراً من ألف شهر .
ابن حرب - لا عجب يا مولاي اذا كنت ذهبت لتلك الرؤيا ، فامم بأجوج ومأجوج
من أسماء الجن التي تحاشى الله سبحانه وتعالى ، رحمة بمباده ، ذكرها في كتابه الكريم .
الخليفة الوائق - ها اها اها اطمئن يا ابن حرب فلن يقل عددكم عن خمسين
رجلاً ، ومعكم مثنا بغل لجل الزاد والماء ، وسأعطي سلاماً كتاباً الى حاكم أرمينية
ليقضي حوائجكم ويسهل مهمتكم .

ابن حرب - اذن استودعك الله يا مولاي ، فلا أمل لي في رؤيتك ثانية ، ما دمت
ستطرحني بين ثلاثة أعداء أشداه من الكواسر :

ولو كان بأجوج لكنت أتقينه ولكنه مأجوج أيضاً وسلام
فواضيعي ما بين غول مصاحبي وغولين قدامي ، أهلكي اسلام
الخليفة الوائق - ها اها اها ها اها اها

المنظر الثاني

في طريق البعثة بأرض سوداء كريهة الرائحة بعد أن ساروا ستة وعشرين يوماً ، وقد مرض ابن حرب
في الطريق بداء المفاصل .

ابن حرب - هات الخل يا سلام ، أنقذني ، ان هذه الرائحة الكريهة تذكرني
بمخامرة مسكوبه

- سلام - ارأيت مبلغ وقائي لك ومبلغ مخاوفك السخيفة

ابن حرب - انعم بك من رقيق ، ويا حبذا لو وجدت لك حيلة في امري ، فلا انا قادر
على السير ولا على الجلوس ولا على الرقاد ، لقد نال مني داء المفاصل
سلام - لم يبق لك الا ان تطير

ابن حرب - لقد اخلمس لنا الادلاء ، فلولا رائحة الخل هذا لو هقت روحي ، ومن
ابن هذه الرائحة الخبيثة لهذه الأرض السوداء الكريهة ، كأنها عدو لنا بالمرصاد ، بعد

سيرنا ستة وعشرين يوماً

سلام - عليك ان تحتمل يا صاحبي فأمامنا جنة وعدنا بها الأدلاء

ابن حرب - لم يسمع عن احد فارق الجحيم الى الجنة

سلام - الا تعلم اننا لم نصل الى هنا سالمين الا بعد توصية من حاكم الى آخر فلولاً
كتاب حاكم أرمينية الى حاكم اقليم السريز ، ولولا كتاب هذا الى امير اقليم الآن ، ولولا
كتاب هذا الامير الى فيلاتشاه ، ولولا كتاب فيلاتشاه الى ملك الحزر لما كنا في عالم الاحياء
ابن حرب - ومن قال اني في عالم الاحياء ، علي بالخيل يا سلام ، اقتدني من هذه
الرائحة الاعمىنة

سلام - يقول الغضنفر كبير الأدلاء ان امامنا مسير عشرة ايام في هذه
الأرض السوداء

ابن حرب (مقاطعاً ميموما) يا خير اسود

سلام - ثم نصل الى اقليم فيه مدن خربها شعب بأجوج ومأجوج ، ثم ننهي الى
السور المنشود ، ويقول الغضنفر إنه لا بد لنا من السير سبعة وعشرين يوماً قبل ان
نبلغ ضالتنا

ابن حرب (بأنسا) - هذا ما توقعته ، فأدفي يا سلام هنا ومعى زجاجة خل ، اقرأ
القائمة صورة على روعي

سلام - لا تيأس يا ابن حرب ، وقد احتفظت لهذا البخل لك ، وسأرمك
بقية الطريق

ابن حرب - خافي يا صاحبي في هذا الجحيم ، فلا أنتظر أفضل منه ، ولك أن تترك
معي هذا البخل أنيساً ، فقد يفهني .

سلام - يؤكد الغضنفر أننا سنجد بعد ذلك الاقليم حصوفاً تسكنها أمة مسلحة تتكلم
العربية والفارسية ، ولكنها لم تسمع بخلق المسلمين قط .

ابن حرب - لا بد أنها قد كفرت الآن . علي بالخيل يا سلام . علي بالخيل .

المنظر الثالث

في قصر ملك الخزر في أمسية خريفية من العام نفسه ، وبعد استقباله رجال البيعة جلس بمحادثهم ثم مرض عليهم أعجوبة لم يسمع بها من قبل .

ملك الخزر - وما هذا الوادي الذي تتحدث عنه يا سلام .

سلام - وصلنا في آخره مراحلتنا يا سيدي قبل المحيي إلى ملككم السعيد إلى جبل لا نبات عليه ، يقطعه واد عرضه مائة وخمسون ذراعاً . وفي الوادي باب ضخم جداً من الحديد والنحاس ، عليه قفل طوله سبعة أذرع وارتفاعه خمسة ، وفوق الباب بناء متين يرتفع إلى رأس الجبل . وكان رئيس تلك الحصون الإسلامية يركب في كل جمعة ومعه عشرة فرسان ، مع كل منهم مزودة من حديد ، فيجيئون إلى الباب ويضربون القفل ضربات كثيرة ليسمع من يسكنون خلفه ، فيعلموا أن الباب حفظة ، وليتأكد الرئيس وأعدائه الفرسان من أن أولئك السكان لم يحدثوا في الباب حدثاً .

ملك الخزر - يظهر أنك تتحدث عن الحصون الواقعة في جبال القوقاز على مقربة من دربند ، في إقليم دافستان ، غربي بحر قزوين .

الفضنفر - (كبير الادلاء) هذا هو الصواب يا مولاي ، وقد رأى هؤلاء السادة الأعاجيب التي اشتها رؤيتها وعاينوا ذلك السور العظيم . وبمحمد الله لم يبلغوا ملكك السعيد إلا وقد استردوا عافيتهم وأخص بالذكر السيد ابن حرب الذي كان عليلاً منهوكاً في الطريق ، وكذلك بقائنا وصلت سالملة .

ملك الخزر - محمد الله على سلامتكم وعافيتكم . ليس لدينا أيها السادة من الغرائب ما قد يشوقكم . ولكننا اصطدنا اليوم سمكة عظيمة جداً جذبتها بالحبال ورفعناها إلى هنا . وهي خلف هذا الستار ، وصاربحه الآن فتأملوا .

(يرفع الستار فتبدو هذه السمكة النظمية جداً على منصة خشبية كبيرة)

أصوات تعجب - الله أكبر ، الله أكبر ، تبارك وتعالى .

ابن حرب - أنظر يا سلام ، أنظر ها هي اذن السمكة تنتفخ ، أنظر يا صبي ، أنا في وعي .

أصوات تعجب - الله أكبر ، الله أكبر .

ابن حرب - جارية بيضاء جميلة مارية ، وسطها مثل السمكة تخرج من اذن السمكة الكبيرة ، أنا في وعي .

أصوات تعجب - سبحان الخلاق العظيم .

(جلبة مستمرة لا تنهي الحوار) .

ابن حرب - أنا في وعي يا سلام !

سلام - ورأس الخليفة لا أعرف إذا كنت اذا حالمًا يقظًا ، فلا تسألني عنك .

أصوات تعجب - سبحان خالق المعجزات

ابن حرب - يظهر يا سلام أننا نخمرون وقد نال منا ذلك الشراب .

سلام - وأية خمر يا صاحبي - ولو كانت رحيقًا مختومًا - يمكن أن تبده هذا المنظر الرائع .

ملك الخزر - هذا كل ما عندنا أيها السادة ، فبلغوا نبأه الى خليفة المسلمين حفظه الله ، لعله يسره ، وقد يتنازل بزيارته إيانا ليرى ما رأيتم .

الغضنفر - هذه يا مولاي أعجوبة الاوائل والاواخر ، ولقد طوّفت بأفطار كثيرة فما رأيت مثلها .

سلام - إننا لمشدوهون يا مولاي بما ترى .

(أصوات خلفية : الله أكبر ؟ تبارك وتعالى)

ابن حرب - أنظر يا سلام ، أنها تبسم الي ، أي باقي هنا يا ابن ممي حتى يحضر مولاي الخليفة . لقد استمدت قوتي .

سلام - إن ضيافتنا تنتهي اليوم ، فحال بقاؤك .

ابن حرب - سأبقى معها في أذن السمكة .

[النهاية]

الفهرست

للجزء الاول من المجلد الحادي والعشرين بعد المئة

١	حديث المقتطف
٣	تصدير
٥	من نافذة التاريخ
٨	العدالة الاسلامية
١١	الحركة النسائية الامريكية
١٤	مقتل ابي مسلم الخراساني
٢٠	باسم امير المؤمنين
٢٤	اكبر خان
٣١	الطائر الطليق
٣٨	حارس البستان
٤٤	غزوة الجزيرة
٥٠	ابو دلف الخزر جي
٥٧	سلام الترجمان